مختصر

نهضة الحسين

— أو —

سلسلة حوادث تاريخية حول فاجعة الامام سيدنا الحسين

ابن علي عليهما السلام مأخوذة من اوثق المصادر

وبطرز اخلاقي جديد يحلل ويعلل

الوقايع على اسلوب فلسفي

فريد في بابه

تأليف خادم العلم والدين



الحسيني

مطبعة دار السلام * بغداد

١٣٤٥ هـ

- ﴿ ديباجة الكتاب ﴾ -

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد الحمد والصلاة : فقد حدا بي الى تأليف كتابي هذا غفلة اكثر الاجانب من تاريخ الحركة الحسينية وجهلهم بخفاياها ومزاياها (وهي النواة لحركات عالية) حتى ان بعض الاغيار اذ وجد هياج العالم وحداد الامم ومظاهرات العرب والعجم اندفع بتأثره العظيم قائلاً : (ماهذا ؟ ولماذا ؟ وهل الحسين الا رجل خرج على خليفة عصره ثم لم ينجح ؟)

نعم . سنعرفه ماهذا ولماذا ومن الحسين الناهض ومن المعارض وما هي غايات الفريقين ؟ كل ذلك بهذا الكتاب الذي جمع النظريات النفسية مع النظرات التاريخية الى المرويات الموثقة[1]

---

(١) مثل (مروج الذهب) لعلي بن الحسين المسعودي المتوفى سنة ٣٣٥ هـ و (مقاتل الطالبيين) لابي الفرج علي بن الحسين الاموي المرواني الاصفهاني مؤلف (الاغاني) المتوفى سنة ٣٣٦هـ وتاريخ ابي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ وكتاب (الارشاد) للشيخ المفيد محمد المتوفى سنة ٤١٣ هـ وعقد الفريد لابن عبد ربه المغربي المتوفى قبل سنة ٣٢٨ هـ وغير ذلك من الكتب المؤلفة قبل سنة اربع مائة من الهجرة .

من كتب التواريخ المعتبرة المؤرخة قبل سنة اربعمائة هجرية في سبك وجيز واسلوب ممتاز (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد).

هبة الدين الحسيني

١٥ محرم الحرام سنة ١٣٤٤ هـ

(١)

النهضة الحسينية

النهضة قيام جماعة او فرد بامر مشروع اي مايقتضيه نظام الشرع او المصلحة العامة كالحركة التي قام بها الحسين [1] بن علي عليهما السـلام . وحقيقة النهضة سيالة في الاشخاص والامم وفي الازمنة والامكنة ولكن بتبدل اشكال واختلاف غايات ومظاهر . وما تاريخ البشر سوى نهضات افراد بجماعات وحركات اقوام

(١) الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) امه فاطمة الزهراء (ع) بنت محمد المصطفى (ص) من زوجته الكبرى خديجة ام المؤمنين (ض) هو احد السبطين وخامس اهل الكساء ولد في المدينة عام الخندق في السنة الرابعة للهجرة في خامس شعبان الموافق شهر كانون لسنة ٦٢٦ م وعاش مع جده النبي (ص) ست سنوات وشهوراً وبقي بعد اخيه الحسن عشرة اعوام واشهراً وكان مجموع عمره ستةوخمسين عاماً وكانت شهادته بعد الظهر من يوم الجمعة عاشر محرم الحرام سنة ٦١ ه الموافق سنة ٦٨٠ م بحاير الطف من كربلا في العراق واشترك في قتله شمر بن ذي الجوشن وسنان بن انس وخولى بن يزيد من قواد جيش عمر بن سعد الذي ارسله والي الكوفة عبيد الله بن زياد بأمر من امير الشام يزيد بن معاوية ليحصروا الحسين ورجاله ويقتلوهم عطاشى فيقتلوهم ثم نهبوا رحاله وسبوا آله مسفرين الى الكوفة ثم الى الشام فالمدينة. وان اشتهار فضائل الحسين والآثار المروية فيه ومنه وعنه في كتب الحديث والتاريخ ليغني عن التوسع في ترجمته الشريفة .

لغايات . فوقتاً الخليل ونمرود وحيناً محمد (ص) وابوسفيان[(١)] ويوماً علي ومعوية . ولم تزل ولن تزال في الامم نهضات لأئمة هدى تجاه أئمة جور . ونهضة الحسين من بين النهضات قد استحقت من النفوس اعجاباً اكثر لا لمجرد مافيها من مظاهر الفضائل واقدام معارضيه عليّ الرذائل . بل لان الحسين «ع» في انكاره على يزيد[(٢)] كان يمثل

(١) هو صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس . كان في الجاهلية يباع الزيت والادم .دميم الخلقة . ومن كبار قريش حتى قامت قيامة قريش على الهاشميين قبيل الهجرة فترأس في الحالفة القرشية واخذ على عاتقه مناواة الاسلام ومقاتلة المسلمين . وله في عام الهجرة نحو سبع وخمسين سنة . ولم تقصر عنه اخته ام جميل العوراء في ايذاء رسول الله (ص) وسعيها بالنميمة والفساد بين بني هاشم والقبائل اذ كانت تحت ابي لهب والمقصودة من آية (وامرأته حمالة الحطب) الخ . ولم يبرح يثير الاقوام ويشكل الاحزاب ضد رسول الله «ص» كما في بدر الكبرى وبدر الصغرى وفي احد والاحزاب وفي وقايعه الاخرى . ولم يهدأ ساعة عن معاداة النبي في السر والعلانية وباثارة النفوس والجيوش ضده . وبجاهد المسلمين جهده اليوم فتح مكة حيث اسلم مع بقية قريش . واول مشاهد ابي سفيان مع المسلمين كان في غزوة حنين فنحه المصطفى (ص) مائة بعير من غنايم الحرب منوهاً به وبمكانته . ثم اشترك ابو سفيان يوم الطائف فاصابته نبلة في احدى عينيه ففقئت واصبح اعور . ثم اشترك في واقعة الرموك في السنة الثالثة عشرة للهجرة على عهد ابي بكر فاصابت نبلة عينه الثانية ففقأتها واصبح اعمى . ومات في دمشق عند ولده معاوية سنة احدى وثلاثين هجرية عن ثماني وثمانين سنة ودفن بها .

(٢) انمشاهد الفضلاء ومثل في الامة الاسلامية كسيدنا الحسين (ع) وسعد بن ابي وقاص وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن ابي بكر و . و . انكروا على معاوية استخلاف يزيد الخمور والفجور . وقد توجس يزيد من مخالفة هؤلاء الوجوه خيفة لعلمه بأن الرأي العام في جانبهم . ولو كان امينا من اتفاق العامة معه لما اهتم —

شعور شعب حي و بجهر بما تضمره امة مكتوفة اليد . مكمومة الفم . مرهقة بتأثير امراء ظالمين . فقام الحسين (ع) مقامهم فى اثبات مرامهم . وفدى بكل غال ورخيص لديه او فى يديه باذلاً فى سبيل تحقيق امنيته وامتـه من الجهود ما لا يطيقه غيره فكانت نهضته المظهر الاتم للحق . حينما كان عمل معارضيه المظهر الاتم للقوة فقط من غير ما حق او شبهة حق ؟

* * *

(٢)

الحسين رمز الحق والفضيلة

لا عجب ان عدت نهضة الحسين «ع» المثل الاعلى بين اخواتها في التاريخ وحازت شهرة واهمية عظيمتين. فان الناهض بها « الحسين » رمز الحق ومثال الفضيلة . وشأن الحق ان يستمر وشأن الفضيلة ان تشتهر . وقد طبع آل علي «ع» على الصدق حتى كأنهم لا يعرفون غيره وفطروا على الحق فلا يتخطونه قيد شعره .

ولا بدع فقد ثبت فى ابيهم عن جدهم النبي (ص) (علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار) فكان علي (ع) لا يراوغ اعداءه ولا يداهن رقباءه وهو عَلَى جانب عظيم من العلم والمقدرة

— فى اضطهاد هؤلاء وارغامهم ابداً ثبت ان الحسين «ع» ومنذ كان يمثل فى قيامه على يزيد رأي الجمهور وشعور الشعب الحي .

وتاريخه كتاريخ بنيه يشهد على ذلك . فشعور التفادي (ذلك الشعور الشريف) كان في علي وبنيه ومن غرائزهم ولاسيما في الحسين بن علي (ع) (وما في الآباء ترثه الابناء) .

وقد تفادى علي (ع) عن رسول الله (ص) بنفسه كرات عديدة . كذلك الحسين (ع) تفادى لدين الرسول (ص) وامته . اذ قام بعملية اوضحت اسرار بني اميــــة ومكايدهم وسوء نواياهم في نبي الاسلام ودينه ونواميسه .

وفي قضيـــــة الحسين (ع) حجج بالغة برهنت على انهم يقصدون التشفي منه والانتقام واخذهم ثارات بدر واحقادها . وقد اعلن بذلك يزيد طغيانا وهو على مائدة الخمر ونشوان بخمرتين خمرة الكرم وخمرة النصر . اذ تمثل بقول ابن الزبعرى :

ليت اشياخي ببــدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل

واضاف عليها :

لعبت هاشم بالملك فلا * خبر جآء ولا وحي نزل

لست من خندف ان لم انتقم * من بني احمد ما كان فعل : الخ

* * *

(٣)
الحركات الاصلاحية الضرورية

اذا كان نجاح الامة على يد القائد لزمامها واصلاحها بصلاح امامها فمن اسوء الخيانات والجنايات ترشيح غير الاكفاء لرياستها

وریاسة اعمالها وسيان فى الميزان ان ترضى بقتل امتك او ترضى برياسة من لا اهلية له عليها واي امة تخذت فاجرها اماماً وخونتها حكاما وجهالها اعلاما وجبناءها اجناداً وقوادا فسرعان ماتنقرض ولا بد ان تنقرض .

هذا خطر محدق بكل امة لولم يتداركه ناهضون مصلحون وعلماء مخلصون والسنة حق تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيوقفون المعتدي عند حده ويضربون على يده .

وبتشريع هذا العلاج درء نبي الاسلام عن امته هذا الخطر الوبيل ففرض على الجميع امر المعروف ونهى المنكر بعد تهديداته المعتدين وضماناته للناهضين وقد صح عنه (ص) قوله (سيد الشهداء عند الله عمي حمزة ورجل خرج على امام جائر يأمره وينهاه فقتله) كما صح عنه قوله (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) ذلك لكي لا يسود على امته من لا يصلح لها فيفسد امرها وتذهب مساعي الرسول (ص) ومن معه ادراج الرياح وقد كان هذا الشعور الشريف حيا فى نفوس المسلمين حتى عصر سيدنا الحسن السبط «ع» وناهيك ان ابا حفص خطب يوما فقال (ان زغت فقوموني) فقام احد الحاضرين يهز فى وجهه السيف ويقول (ان لم تستقم قومناك بالسيف)

غير ان امتداد السلطان لمعاوية واحداثه البدع واماتته السنن وابادته الابرار والاحرار بالسيف والسم والنار وبثه الاموال الوفيرة في وجوه الامة اخرست الالسن واغمدت السيوف وكمت الافواه وصمت الآذان وحادت بالقلوب عن جادة الحق والحقيقة فمات او كاد ان يموت ذلك الشعور السامي الاسلامي واوشك ان لايحس احد بمسئوليته عن مظلمة اخيه ولا يعترف بحق محاسبة آمريه او معارضة ظالميه .

وكاد ان تحل قاعدة (قبلوا اي يد تعجزون عن قطعها) محل آية (فقاتلوا التي تبغي حتى تفئ الى امر الله) .

* * *

(٤)

آثار الحركة الحسينية

كان مآل الاحوال السالفة محق الحق بالقوة وسحق المعنويات بالماديات وانقراض الائمة والامة بانقراض الاخلاق والمعارف .

أولا ان يحسن [illegible]

وراية للعدل ورمزاً للفضيلة ومثالاً للاخلاص يوازن نفسه ونفوس الامة في ميزان الشهامة فيجد الرجحان الكافي لكفة الامة

فينهض مدافعاً عن عقيدته . عن حجته . عن امته . عن شريعته . دفاع من لا يبتغي لقربانه مهراً ولا يسئلكم عليه اجراً ودون ان تلوى لوائه لامة عدو او لائمة صديق ولا يصده عن قصده مال مطمع او جاه مطمح او رأفة بآله او مخافة عَلَيَ عياله .

هذا حسين التاريخ والذي يصلح ان يكون المثل الاعلى لرجال الاصلاح وقلب حكم غاشم ظالم دون ان تأخذه في الله لومة لائم وقد بدت لنهضته آثار عامة النفع جليلة الشأن فانها :

اولاً : اولدت حركة وبركة في رجال الاصلاح والمنكرين لكل امر منكر حيث اقتفى بالحسين السبط (ع) ابناء الزبير والمختار وابن الاشتر وجماعة التوابين وزيد الشهيد حتى عهد سميه الحسين بن علي شهيد فخ وحتى عهدنا الحاضر ممن لايحصون في مختلف الازمنة والامكنة فخابت آمال امية فيه اذ ظنت انها قتلت حسيناً فاماتت بشخصه شخصيته وابادت روحه ودعوته . كلا ثم كلا ! لقد احيت حسيناً في قتله واوجدت من كل قطرة دم منه حسينا ناهضاً بدعوته داعياً الى نهضته .

اجل : فان الحسين لم يكن الا داعي الله وهاتف الحق ونور الحق لايخفى ونار الله لاتطفى ويأبى الله الا ان يتم نوره ويعم ظهوره .

ثانيــاً : ان الحسين بقيامه في وجه الجور والفجور مقابلاً ومماتلاً احيى ذلك الشعور السامي الاسلامي الذي مات فى حياة معاوية او كاد ان يموت ونبه العامة الى ان حب الحياة ورعاية الذات واللذات والتخوف عَلَى الجاه والعائلات لو كانت تبرر لاولياء الدين مصافات المعتدين لكان الحسين اقدر واجــدر من غيره لكنه اعرض عنها اذ رآها تنافى الايمان والوجدان وتناقض الشهامة والكرامة فجددت نهضته فى النفوس روح التدين الصادق وعزة فى نفوس المؤمنين عن تحمل الضيم والظلم وعن ان يعيشوا سوقة كالانعام وانتعشت احساسات تحرير الرقاب او الضماير من اغلال المستبدين واوهام المفسدين .

ثالثاً : ان النهضة الحسينية هزت القرايح والجوارح نحو الاخلاص والتفادي واتبعت الصوايح بالنوايح لتلبية دعاة الحق واستجابة حماة العدل فى العالم الاسلامى وانعاش روح الصدق وهواس الفضائل .

وبوجه الاجمال عدت نهضة الحسين (ع) ينبوع حركات اجتماعية باقيــة الذكر والخير فى ممالك الاسلام خففت ويلات المسلمين بتخفيف غلواء المعتدين فاـي خير كهذا الينبوع السيال والمثال السائر فى بطون الاجيال .

* * *

(٥)

الفضيلة

الفضيلة محبوبة الجميع والرذيلة مكروهتهم الا انها محبوبة لدى صاحبها فحسب . واذا عدت الفضائل فضيلة فضيلة من وفاء وسخاء. وصدق وصفاء .وشجاعة واباء .وعلم وعبادة. وعفة وزهادة. فحسين التاريخ رجل الفضيلة بجميع مظاهرها كما ان قاتليه رجال الرذائل بكل معانيها لايتناهون عن منكر فعلوه فكانت من اجل ذلك نهضة الحسين (ع) امثولة الحق والعدل اذ بطل روايتها اقوى مثال للفضيلة . وقد كانت حركة ابن زياد امثولة الباطل والظلم اذ بطل روايتها اقوى مثال للرذيلة والفجور وما حربهما الا تمثيلاً لصراع الحق والباطل والحق مهما قل مساعده وذل ساعده في البداية فان النصر والفخر حليفاه عند النهاية (وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون) .

* * *

(٦)

مبادي قضية الحسين (ع)

كل الذين دونوا قضية الحسين (ع) اخذوا سلسلتها من اوساطها اى من حين البيعة ليزيد في حين ان القضية تبتدئ من

عهد ابي سفيان و محمد (ص) ان لم نقل من قبل ومن عهد هاشم وعبدشمس فان ابا سفيان (جد يزيد) اذ رأى محمداً (ص) «جد الحسين (ع)» قد نهض في مكة سنة ٦١٠ م يدعو العرب الى توحيد المعبود والاتحاد في طاعته حسب انه سيهدم مجد عبدشمس ورياستهم ويبني لبني هاشم بيت مجد مرصوص الاساس ويعم ظله الظليل عامة الناس فاندفع بكل قواه الى معارضته ففعل مافعل في مقاومة النبي (ص) واهانته وتفريق اعوانه وتحشيد الجموع لمحاربته حتى كان ما كان بايام بدر واحد وهما مثالان للحق والباطل وامر محمد (ص) يقوى انتشاره ومناره حتى رمى حزب ابي سفيان آخر نبلة من كنانته ولم يفلح «يريدون ليطفئوا نور الله» الخ . وذلك ان الله سبحانه فتح لنبيه مكة فتحاً مبيناً ونصره على قريش نصراً عزيزاً واذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا . انتهت الحركة السفيانية ولكن في الظاهر اما الحزب الخاسر المنكسر فقد كان يعمل ليلاً ونهاراً في تلافي خسرانه وارجاع سلطانه ولكن تحت الستار وباخفى من ديب النمل على الصفا برسم الخطة للقيام بحركة وسيعة الدائرة حتى اذا قضى النبي (ص) نحبه تنفس ورغب في الانتقام .

: اجل: لقي محمد (ص) ربه وابو سفيان حي يسمع الناعية على جنازة محمد الهاشمي (ص) ولكن لايسعه اظهار شيء وكان

العباس(ض)عم النبي(ص) يعرف من امره شيئاً اذ كان صديقه الحميم فى الجاهلية والاسلام فاشار علي علي «ع» ابن اخيه ابي طالب وهو يغسل جنازة النبي « ص » قائلاً له يا علي مد يدك لابايعك حتى يقول الناس عم رسول الله بايع ابن عمه فلا يختلف عليك اثنان فلم يسمع من ابن اخيه جواباً سوى كلمة « ياعم اولها غيري » وقبل ان يدفن النبي «ص» نجم الخلاف حول خلافته بين المهاجرين والانصار وربما كان للحزب السفياني يداً فى اثارته ونفخاً لاضرامه .

* * *

(٧)
حركات ابي سفيان

لكن الذي نعلمه ان ابا سفيان لم يكن من الانصار ولا من المهاجرين عندما قالا « منا امير ومنكم امير » حتى يحسب لنفسه حسابا فى التحيز الى طرف بالصراحة ورأى انضمامه الى اضعف الاحزاب اسيے حزب علي«ع» اقرب الى مقصده من ايجاد موازنة فى القوى وخلق عراقيل تكاد تمنع من حسم الخلاف فجاء عليا قائلاً له « لو شئت لاملأتها لك خيلا ورجالا » وعلي «ع» يومئذ يطرق الابواب على المهاجرين والانصار يتمنى ناصراً اقضبته فلو كان ممن

يضيع رشده بالمواعيد الخلابة لاغتنم من ابي سفيان هذا الاستعراض ولكن الامام عرف سوء قصده « وقصده الصيد في الماء العكر » فاجبه بالرد والاستنكار قائلاً « مه يا ابا سفيان اجاهلية واسلاما » اي انك تتربص دوائر السوء بدين محمد ص في عهديك عهد الجاهلية وعهد الاسلام وتفرس سوء مرامه من كلامه وانه انتهز فرصة الخلاف من حاشية النبي ص وقصد احتلال مدينة الرسول عاصمة الاسلام بحجة نصرة الضعيف اوتسوية الخلاف وماجيوشه سوى مردة العرب من اهل النفاق فاذا نزل هؤلاء في عاصمة التوحيد سادت منافقة العرب وعادت مبادى الجاهلية والناس حديثو عهد بالاسلام فيكون الرجعيون اولى بالقوة والنصرة والموحدون اولى بالضعف والذلة ويخرجن الاعز منها الاذل قرء هذه الشروح واكثر منها على « ع » من كلمة ابي سفيان فرده رداً قارصا لان عليا رجل الحق وبطل الايمان لا يضحي الدين او المصلحة العامة في سبيل نفع ذاتي او شهوة وانتقام .

ولما عرف ابو سفيان ان عليا (ع) لاينخدع وانه عند تداخل الاغيار ليصافح اخوانه المسلمين ويتحد معهم لحفظ بيضة الدين مهما كان ضدهم وكانوا اضداده ندم ابو سفيان على لفظته وهرع الى الحزب الغالب وانضم اليهم ليحفظ مركزه الاجتماعي قبل ان يخسر

الطرفين وتأخرت منوياته الى حين حينما يخضر عود امية بامارة معاوية على الشام وعود سلطانهم .

وبعدما نبغ فيهم معاوية اخذ على عاتقه التيام بنوايا اسلافه ومعه يومئذ ابوه ينصب عليا دون المسلمين هدفا لسهامه القتالة اذ عرفه الينبوع الوحيد لسيال وحي المصطفى ( ) وانه البطل المناوي لهم بكل قواه و العميد القائم ببيت بني هاشم والمركز القوى لابطال الحرب السفيانية وان عليا هو وابوه نصيرا محمد (ص) حين لا ناصر له حتى انه فداه بنفسه ليلة مبيته على فراشه وضيع على قريش هجرته و نقض ما ابرموه عليه وعلي القاتل صناديد قريش واركان حزبهم في بدر وغيرها ولولا علي لقضوا على حياة رسول الله (ص) في بدر واحد وحنين ومواقف اخرى ولولا علي لظفر عمر وهم بالمدينة يوم الخندق وعلي الفاتح قلوب اهل مكة في وجه المصطفى اذ تلى عليهم سورة البراءة في الموقف العام العصيب بكل ثبات وجسارة واقدام . الامر الذى لم يكن يقم به احد من المسلمين غيره الى غير ذلك من مواقفه المهمة التي ضيع فيها على امية مكايدها وكانت صدور امية تغلي كالمرجل على رجل الايمان .

* * *

(٨)
معاوية وتعقيباته

ناصب معاويه وحزبه عليا وصحبه وكان ما كان من ايام ابن عمره وصفين والنهروان وعلي (ع) في كلها غير مخذول ولا يزداد معاوية الا حقداً عليه وموجدة وتعقب الضغائن اثر الضغائن وكان معاوية معروفا بالغدر حليما الا على علي (ع) وخاصته فلما توفي امير المؤمنين سنة ٤٠ هـ بسيف ابن ملجم الخارجي ساجداً في محرابه زال من بين عيني معاوية ذلك الشبح الرهيب الذي كان يخيفه في منامه وفي خلواته وقويت عزائمه وتوجهت شطره اكثر النفوس التي كانت رهن سجايا علي (ع) وعلومه ومنقادة لصوته وسوطه وصيت شجاعته وسماحته سيما وان الآثار النبوية المشهورة فيه كانت لاتقاس كثرة وشهرة بما في شأن غيره والخدمات التي قام بها ابو الحسن كانت قاطعة الالسن. فضلاً عن طول عهد الامارة لمعاوية وانتشار حزبه الفعال وتوزيعه الاموال.

هذه العوامل وغيرها ضيقت دائرة النفوذ على الحسن بن علي (ع) وخليفته واوسعت المجاري والميادين لمعاوية وحزبه فانتقم من علي ع بعد وفاته وسبه على المنابر والمعابر والالسن والكتب ، وياباسها من حيلة ووسيلة لاستئصال حب بني هاشم بتلب كبيرهم وقد قال ابن عباس ض «انهم يريدون بسب علي سب رسول الله (ص)»

ثم لم يقنع بذلك . فاخذ يتتبع خاصة علي بالسم وغيره ويتمثل بقوله « ان لله جنوداً من عسل » يعنى السم المعسول الى اعدائه ولم يسع حلمه اصحاب علي (ع) وبنيه قط فدس سماً ذريعاً الى زوجة الحسن السبط « ع » فتناته اغتراراً بوعد زواجها من يزيد .

* * *

(٩)

تأثرات الحسين الروحية

هنا حري بنا ان ندرس حالة سيدنا الحسين ذلك المتفاني في حب شقيقه الحسن «ع» ماذا يجري على قلبه وهو يرى احشاء اخيه مقذوفة في التسط من سم معاوية ثم تمنع بدسيسة مروانية جنازة اخيه من زيارة جده (ص) وهما ريحانتاه ويسمع سب ابيه واخيه في المعابر وعلى المنابر وتنمى اليه صحابة ابيـــه من فتك معاوية بهم وسحق العهود الشريفة ومحق شعائر الاسلام وتبديل سنن جـــده بالبدع وتحويل الاسلام من روح دينية عالية الى روح القومية والملوكية وتمهيد اسس للرجعى الى الجاهلية هذا كله عدا ماسبق من امر معاوية وعلي « ع » في حروب وفتن اوجدها معـاوية لاغراض ذاتية وفت في عضد الدين وشتت بها شمل المسلمين

اضف عليها ماجرى على جده المصطفى «ص» من الحزب السفياني في اثناء البعثة وبعدالهجرة : افلايكون بعدذلك كله قلب الحسين دفتراً ملئوه المؤلمات ولابد وان تكون هذه الموجدات في الحسين «ع» وفي صدره بركاناً قوياً مشرفاً على الانفجار وحسين الشهامة لم يكن بالذي يقيم على الضيم لولا ان الوصية تتلو الوصيه من اخيه وجده وابيه وخاصة مواليه بالصبر والصبر امر من الصبر .

* * *

(١٠)

كيف يبايع الحسين (ع)

غريب والله ان يزيد المشهور بالسفاسف والفجور يريد التقمص لخلافة النبي محمد (ص) المبعوث لتكميل مكارم الاخلاق وذلك في حياة الحسين (ع) ابن ذات النبي وحبيبه فيزيد يعلم نفسية الحسين ويعلم ان صدر الحسين (ع) اصبح بركاناً قريب الانفجار ومع ذلك لايقنع بسكونه وسكوته عما هو فيه بل يريد منه فوق ذلك كله ان يعترف له بالخلافة عن الرسول وهل ذاك الا رابع المستحيلات فان اعتراف الحسين (ع) بخلافة يزيد عبارة اخرى عن ان الحسين ابس بالحسين اي ان معنى قبوله البيعة ليزيد

يبيع دين جده وكل مجده وكل شعور شريف للعرب وكل حق للمسلمين وكل آمال لقومه يبيعها جمعاء برضى يزيد عليه وهذا محال على الحسين «ع» وعلى كل ابطال الفضائل فان قبوله بيعة يزيد عبارة اخرى عن اعترافه بتساوي الفضيلة والرذيلة واستواء العدل والظلم واتحاد الحق والباطل وتماثل النور والظلام وان العلم والجهل مستويان وان الخفيف والثقيل سيان في الميزان فهل يسوغ بعد هذا كله سكوته وسكونه ؟ كلا ثم كلا !

وقد يزعم البسطاء ان الحسين (ع) لو استعمل التقية وصافح يزيد لاتقى ببيعته شر امية ونجا من مكرها وصان حرمته وحفظ مهجته لكن ذلك وهم بعيد .

فان يزيد المتجاهر بالفسوق لا يقاس بمعاوية الداهية المتحفظ فبيعة مثل الحسين (ع) لمثل يزيد غير جائزة بظاهر الشريعة ولذلك تخلف عن بيعته سعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن ابي بكر وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير ايضاً فانكروا على معاوية استخلاف يزيد وامتنعوا عن بيعته حتى فارقوا الحياة وكان سيدنا الحسين (ع) اولى بهذا الامتناع والانكار واما مع غض النظر عن التكليف الشرعي ومطالبة وجه غير التمسك بظواهر الكتاب والسنة فنقول :

ان التحري في الوثائق التاريخية والكتب المعتبرة يؤدي الى الاعتقاد بان سيدنا الحسين (ع) كان يعلم ان خصومه من بني اميـــة منطوون على نية التشفي من قتله (بايع او لم يبايع) وقد صرح في مواطن عدة بان بني امية غير تاركيه حتى لو كان في جحر ضب لاستخرجوه وقتلوه وقال لعكرمي في بطن عقبه (ليس يخفى على الرأي ولكنهم لا يدعونني حتى يخرجوا هذه العلقة من جوفي) واكد ابن زياد نية التشفي من قتل الحسين (ع) في كتابه لابن سعد قائلاً « حل بين الحسين (ع) واصحابه وبين الماء فلا يذوقوا منه قطرة كما صنع بالتقي الزكي عثمان بن عفان » واعلن يزيد بقصده الانتقام في شعره :

لست من خندف ان لم انتقم   من بني احمـــد ما كان فعل

علم ابن النبي (ص) تصميم آل حرب على انتقامهم من آل علي مهما تظاهر هؤلاء بمسالمتهم ومطاوعتهم ومهما تظاهر آل حرب لهم بالامان والايمان وقد اكد هذا العلم غدر ابن زياد بابن عمه مسلم واعطائه الامان حتى اذا خلع سلاحه قتله شر قتلة . واجلى من ذلك غدر معاوية باخيه الحسن (ع) ودسه السم الى من قتله بعد ان صالحه وسالمه وتنازل له عن خلافته المعقودة له فهل ترى ابن النبي (ص) بعد ذلك كله يعيد الامتحان ويجرب المجرب ؟ كلا ؟ اذن فالحسين وجد نفسه مقتولاً اذا لم يبايع ومقتولاً اذا

بايع لكنه ان بايع اشترى مع قتله قتل مجده وقتل آثار جده اما اذا لم يبايع فانما هي قتلة واحدة تحيا بها الامه وشعائر الدين والشرافة الخالدة .

* * *

(١١)
البيعة ليزيد

صفى لمعاوية الجو وملك نحو اربعين سنة ملكا قلما يسمح الزمان بمثله لغيره وهو فى خلال ذلك لايفتر عن عمله ليله ونهاره فيستكثر اعوانه ويعزز اخوانه ويستحوذ على من يشاء بما اوتي من مال ودهاء واستمال الى اهوائه امثال زياد وابن العاص والمغيرة فمد اطناب حزبه ورواق مأربه وانقادت اليه حتى آل هاشم ولكن الرجل استحب دوام هذا السؤدد لبيته ومن يخلفه فى انفاذ نواياه عرف ان سلطانه وقتي وقسرى وما بالقسر لايدوم فاراد تثبيته فى بيته مادام حياً لانه يخشى من موته على بنيه انقلاب الامور لاسيما وابنه يزيد موضع تهمة الجمهور وفي الناس من هو اقدم من ابنه واولى من جميع الوجوه فاخذ البيعة ليزيد حال حياته بعد ان ذلل الصعاب ومهد السبل لغاياته غير ان جماعة من الصفوة البارزة من اولاد الخلفاء وغيرهم ممن ذكرناهم ابتداء ابوا عليه البيعة ليزيد

واتخذت عملية معاوية هذه كمناورة يمتحن بها مخالفيه ثم اوصى ولده يزيد بان لايمس هؤلاء بسوء اذا ابوا عليه البيعة بعد موته الا ابن الزبير : والسر فيما ارتآه داهية قريش هو ان البعض من هؤلاء ضعيف النفس وغير مسبوق بغضاضة .

واما الحسين فنفس ابيه بين جنبيه ويخشى على البيت الاموى من التعرض اليه وبما انه رجل الفضيلة يؤمل فيه ان يستقر على سكوته وسكونه اذا عمل برغائبه ومداراته ويخشى من قيامه ان يقوم الحجاز والعراق معه حين لامعاوية لديه ولا ابن العاص .

اما ابن الزبير فذو نفسية حربية مع اعدائه وذو دهاء مع رقبائه ولكنه كابيه شحيح لامطمع فيه فالعدو لايأمن منه والصديق لايأمل فيه فاستهان به وبالقضاء عليه من دون توقع محذور فى معاداته لكن يزيد لم يعمل بهذه الوصية الجوهرية وذلك لانه عاش عيشة مترفة قضاها فى الصيد والسكر واللهو ومثل هذه التربية تسوق صاحبها دائما لعبادة الهوى والاعتراف بسلطان الشهوات فلا يحترم قديماً ولا يحتشم عظيما ولا يحتفل بالدين ولا برغائب الجمهور .

وعليه فما مات معاوية الا والاوامر تترى من يزيد على ابن عمه الوليد والي المدينة باخذ البيعة له من الناس عامة ومن الحسين

وابن الزبير للخلافة خاصة فتلق الوليد اوامره بكل رهبة واحتياط
وكان يعرف سوء سمعة يزيد كحسن شهرة هؤلاء عند المسلمين
عامة وعند اهل الحجاز خاصة فادت سياسته الى اعلام هؤلاء بالامر
بصورة ودية مع المداراة لرغائبهم وحركاتهم فقبلما يأخذ البيعة
العامة فى مسجد النبي (ص) ليزيد كخليفة ارسل الى الحسين «ع»
والى زملائه للحضور فى بيته لمذاكرة مهمة فجائه الحسين «ع»
ومعه ثلة من اقربائه ولكن لم يدخلوا معه فاستقبله الوليد بالترحاب
والآداب ومروان جالس متغير وتكاد تقرء مافى قلبه من سحنات
وجهه وابتدء الوليد ينعى معاوية فاسترجع الحسين (ع) ثم قال
الوليد « ان يزيد استحب اقتراح البيعة عليك فماذا ترى » فاجابه
الحسين «ع»، ان البيعة تحسن من مثلي لمثل يزيد ان تكون علانية
وعلاً من الناس فالاولى ان تؤجلها الى موعد اجتماع الناس فى
المسجد فاجابه الوليد بكل لين وتساهل غير ان مروان عكر صفو
السلم وقال يا امير لا تدع حسيناً يخرج من عندك بلا بيعة فيكون
اولى منك بالقوة وتكون اولى منه بالضعف فاحبسه حتى يبايع
او تضرب عنقه فوثب عندئذ حسين المجد قائلاً يا بن الزرقاء انت
تقتلني ام هو كذبت والله ولئمت ثم انصرف هو وبنو هاشم .

كان الوليد ومروان كلاهما يبغيان اخضاع حسين «ع»، ليزيد

ولكن ذلك بالسياسة وهذا بالتهديد وكأن الوليد اراد ان يستقيل قلب الحسين (ع) ويسترق من لسانه كلمة القبول (ولو سراً) لعلمه ان الحسين (ع) رجل الصدق والثبات فلا يعدل عن كلمته وليس بذي لسانين اسرار واجهار ولا ذا وجهين محضر ومغيب .

اما مروان فكانه علم ان المسلمين اذا اجتمعوا في مسجد النبي بين قبره ومنبره وحضر لديهم ريحانة النبي وبنو هاشم وقوف وبنو الانصار جلوس فان المؤثرات المعنوية والحسية لاتسفر الا عن البيعة للحسين وخسران صفقة يزيد : وعلى اي حال فان مروان نقض على الوليد امراً كان قد ابرمه غير ان الخبر لم يك ينتشر خارج المدينة لمراقبة الوالي وفقد وسائل المخابرات : اما الحسين «ع» فقد عرف ان مروان سوف يخابر يزيد على عزل الوالي او يحمل الوالي على الوقيعة بالحسين (ع) وآله وان يزيد وحزبه يتفادون لارادات مروان بشخصيته البارزة في الحزب السفياني وقديم عدائه للنبي وآله وقد كان هو وابوه طريدي رسول الله (ص) وملعونين على لسانه فلابد وان ينتقم من ريحانة الرسول بالمثل او يزيد فلم يجد الحسين (ع) بداً سوى الهجرة سراً الى حرم الله ومنه الى اليمن .

* * *

(١٢)

نظرة في هجرة الحسين (ع)

يصف الواصفون لتاريخ الحسين (ع) اسد ليالى حياته عليه ليلة مقتله فى الطف تلك الليلة التي حوصر فيها هو وذووه فى بقعة جرداء وضاقت عليه الارض بما رحبت ومنع حتى من شرب الماء المباح فلم تهجع عيناه فيها حتى الصباح : ولا يبعد ان يكون اشد ليالى حياة الحسين ليلة مرجعه من مجلس الوالى فى المدينة وحيرته في سيرته مع القوم الظالمين اذ كان الحسين (ع) ليلة مقتله على بصيرة من امره وان ليس بينه وبين الجنة سوى سويعات لكنما الحسين (ع) في ليلة هجرته من مدينة جده كان فى جهاد فكرى وألم عقلي يفكر فى متابعته ليزيد وكونها ضرباً من المحال ثم يفكر فى بقائه في حرم جده لكن ذلك استسلام لمروان فيما يفعل به وباسرته من قتله المستلزم لقتال رجاله وذبح اطفاله ونهب امواله وارسال بناته مع رأسه الى يزيد : كان مروان ممن يفعل ذلك ويزيد عليه تشفياً لنفسه وانتقاماً لامية وتزلفا ليزيد ولم يكن ابن مرجانة باوتر منه ولا اشقى اذن فماذا يصنع الحسين (ع) الا ان يهاجر الى مكة ابتغاء الابتعاد من المنطقة المروانية ولقاء وجوه المسلمين في الحج وانتظار الفرج ولكن كيف يهاجر باسرته الوفيرة العدد بلا عدد والهجرة بالاهل ليس بالسهل سيما في مسالك وعرة

غامضة الحال مبهمة الاستقبال وفى النهاية اختار الحسين (ع) هذا الرأى الاخير على حراجته واوحى بذلك الى اخوانه ورجال اسرته وهم يلبونه فيما يرغب معها كانوا تارهين مع التأهب لما يحب كما يحب الا محمد بن الحنفية : فانه سئل اخاه البقاء فى حرم جده بين انصاره فاجابه الحسين ع بمبلغ عداوة يزيد معه وسوء نيته فيه وضعف ثقته فى ناصريه فقال ابن الحنفية (ان كان ولابد من ذلك فما معنى حملك النسوة والذرية) فلم يجد الحسين(ع) مقنعا لاخيه الا ان يقول له انه من فرط الحب المتبادل بينه وبينهن لايستطيع فراقهن كما لا يرضين بفراقه ولو جرى عليهن ماشاء الله ان يجرى فقال ابن الحنفية انك يا اخى احب الناس الي واعزهم علي ولست ادخر النصيحة لغيرك تنح ببيعتك عن يزيد ثم ابعث رسلك الى الناس فان بايعوك حمدت الله وان اجتمعوا على غيرك لم ينقص دينك ولا فضلك ولم تذهب به مروتك قال الحسين (ع) فاين اذهب يا اخى ؟ قال انزل مكة فان اطمأنت بك الدار فبها والا لحقت بالرمال والجبال ومن بلد الى بلد حتى تنظر ما يصير اليه الناس فتكون اصوب رايا فجزاه الحسين خيرا

وقد انتدبناه اخوه لضرورة وجود من يعتمد عليه فى مركزه عمادا للبيت وحافظا او دائعه كما استبقى على مثل ذلك ابن عمه عبدالله بن جعفر الطيار .

وكان عبدالله بن جعفر ختن الحسين على اخته وشقيقته زينب الـكبرى بنت علي (ع) ولما علم عبدالله بتوجه الحسين (ع) من مكة نحو العراق الحقه بولديه عون ومحمد وكتب على ايديهما اليه كتابا يقول فيه اما بعد فاني اسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي فاني مشفق عليك من الوجه الذي توجهت له ان يكون فيه هلاكك واستيصال اهل بيتك وان هلكت اليوم طفا نور الارض فانك علم المهتدين ورجاء المؤمنين فلا تعجل بالمسير فاني في اثر كتابي والسلام وسار عبدالله الى عمرو بن سعيد فسئله ان يكتب للحسين « ع » امانا ويمنيه ليرجع عن وجهه فكتب اليه عمرو بن سعيد ولحقه يحي بن سعيد وعبدالله بن جعفر بعد نفوذ ابنيه ودفعا اليه الكتاب وجهدا به في الرجوع فقال اني رأيت رسول الله (ص) في المنام وامرني بما انا ماض له فقالا فما تلك الرؤيا قال ماحدثت احداً بها ولا انا محدث حتى القى ربي عز وجل فلما آيس منه عبد الله بن جعفر امر ابنيه عونا ومحمداً بملازمة خالهما الحسين والمسير معه والجهاد دونه .

لقد فشل ابن سعيد (والي الحجاز بعد الوليد) في تدابيره لاقناع الحسين «ع» بالرجوع الى مكة كي يحصره فيها وفي منطقة نفوذه وقنع عبدالله بن جعفر الطيار عن الامام باجازة بقائه في وطنه وفتح الحسين «ع»

ونـــه بارسال شبليه الباسلين وقد كانا ناصريه بالنفس والنفيس وكانت امهما زينب نصيرته في نهضته وخليفته على صبيته وسلوته من كل احزانه ومدبرة امر عياله وبيوت اصحابه ورجاله ولولاها لانفرط عقدينا ماله بعد قتله ولولاها لانتثر نظام اهله بعد انتهاب رحله ولولاها لقضي على خلفه العليل وانقرض نسله الاصيل .

* * *

(١٣)

هجرة الامام من مدينة جده

سار حسين النهضة من حرم جده ولم يقتصر في الوداع على قبره الطاهر اذ المسافر يودع من وطنه المحبوب كلما وقع نظره عليه من صحاب واحباب وغيرهما حتى الماء : والتراب اما ركب الحسين «ع»

فكانوا يودعون الربوع وداع من لا يأمل الرجوع

خرج الحسين (ع) من حرم جده (ص) خائفاً يترقب يناجي ربه لينجيه من فراعنة مصره وعمارة عصره ذكراه رحمة ربه . ومبدؤه خوف ربه . وغايته بيت ربه . سائراً في النهج الاكبر اي الشارع السلطاني فقيل له لو تنكبت الطريق كما فعل ابن الزبير لئلا يلحقك الطلب

فقال لا والله لا افارق الطريق الاقوم حتى يقضي الله ماهو قاض ونزل مكة يوم الجمعة ثالث شعبان وهو يتلو (ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل) .

* * *

(١٤)
الهجرة الحسينية وانقلابات حول الستين

للحوادث ادوار تتعاقب كالليل والنهار والتاريخ يعيد نفسه باختلاف الاطوار . فما اشبه هجرة الحسين «ع» باهله من المدينة الى مكة خوفاً من آل ابي سفيان بهجرة جده محمد (ص) باهله الى المدينة من مكة خوفاً من ابي سفيان وحزبه وبين اليومين نحو ستين عاماً كذلك مجد امية وابي سفيان انقرض في فتح مكة على يدي محمد بن عبد الله النبي الهاشمي (ص) وانقرضت ثانية دولة آل ابي سفيان بعد مقتل الحسين (ع) ببضع سنين وبين اليومين نحو ستين عاماً ثم بنيت على انقاضها حكومة مروانية عاشت نحو ستين عاماً ثم انقرضت هي وكل مجد لأمية على يدي محمد بن عبد الله القائد الهاشمي .

واولو المبادي والهمم والعلماء بمجاري الحركات في العالم لاتبرد عزائمهم مهما خابت مساعيهم ويواصلون المسعى بالمسعى وان فشلوا والدهر دوار وللتاريخ تكرار وللنفوس اقبـــال وادبار فالناهض بفكرة صالحة لابد وان يثابر على نشرها والدعوة اليها ثابت العزم راسخ القـدم لاتزحزحه عواصف العواطف ولا تزلزله قواصف المخاوف ولـكن عليه ان يستخدم في سبيلها العبر والغير والاحوال وبقاء الحال محال حتى لو وجد محيطه بالغ الفساد غير صالح للاصلاح استبدل عن المكان بمكان وعن الجيران بجيران تلك سنة الانبياء والمصلحين حتى اذا فاز بهيئة صالحة وقوة مسلحة عاد الى مركزه (والعود احمد) كذلك محمد (ص) من مكة ثم اليها وذلك موسى من مصره ثم اليه وليس حسين التاريخ بدعاً من رسل الاصلاح اذا هاجر من موطنه خوفاً على مسلكه او املاً بنهضته .

وكيف كان فقد سمعت الاسباب التي دعت حسيناً ان يغادر يثرب خائفاً يترقب فاسمع الآن آثار هذه الهجرة وحسن انعكاسها في العالم الاسلامي وقد سبق ان المخابرات بين المدينة والمدن كانت تحت المراقبة ومنقودة الوسائل والوسائط فصارت حركة الحسين «ع» قضية ذات بال تناقلتها المحافل والنوافل والناس بعـد حلوله ام القرى ومن حولها سوابل جاريه الى الجهات . فانتشر الخبر باهمية

لامزيد عليها حتى صار حديث كل اثنين يجتمعان .

س — ماوراك ؟

ج — هاجر الحسين «ع» من مدينة جده

س — لماذا ؟

ج — لان يزيد قصد ارغامه عَلَى مبايعته

س — نعم نعمَ ماصنع الحسين «ع» فانه لو بايع يزيد الجائر المتجاهر بفسقه فعلى الاسلام السلام : اذن ماذا ترى انيكون ؟

ج — ليس سوى اجتماع المسلمين حوله و نصبه خليفة كابيه علي«ع» ليحيي بعلمه معالم دين جده ويحامي بغيرته الهاشمية عن مصالح المسلمين وينفذ بقوة ايمانه العلوي احكام القرآن النازل في بيته .

هذه وامثالها كانت احاديث اكثر المجامع يومئذ في الحجاز اولاً وفي سائر الاقطار بعده وما فاز الحسين بهذه الاذاعة والاشاعة الا بخروجه من المدينة مظلوماً وناقماً على الظالمين .

* * *

(٥)

الحسين وابن الزبير

استفوت بخروج الحسين (ع) عزائم ابن الزبير واجهز ايمانا

بخلاف يزيد ورفض بيعتـــه ولازم مكة ام القرى يسلك مسلك الحسين ع) الا انغايته كانت الدعوة الى نفسه في حين ان الحسين (ع) لم يصرح بالدعاء الى شخصه وانمـــا اجهر برفض بيعة يزيد فقط وبالتقية من شر امية راضياً بان يخلى له السرب كي ينفذ الى ثغر من الثغور كذلك الشريعة تقضي على المسلم اذا لم يسعه اظهار دينه في بلده ان يهاجر منها الى مأمن لا يضطره الى التقية وسبط الرسول ، ص ، احرى بالتزام شريعته : وكان يتسع نطاق شيعته يوماً فيوم لاخلاص الحسين « ع » في امره وجلي فضله وسمو شرفه وكـرم محتده لـكن حزب ابن الزبير وان كان صغيراً قد نفع الحسين «ع» في تنفير العامة من بني امية وكانت لابن الزبير وابيه سابقة سوء مع علي «ع» في بدء خلافته بالرغم من القربى الماسة بينهم حتى قال عنهما علي «ع» (لم يزل الزبير منـا حتى نشأ ابنه عبدالله) لـكنما الغاية المشتركة وضعفهما تجاه العدو القوى دعاهما الى تجـديد عهود الولاء ونسيان سوالف البغضاء فصار يزور كل منهما الآخر عشية وضحاها وقد صار لمظهر اتحـاد ابن الزبير مع الحسيـن اثر حسن ورهبة في نفوس من عاداهم ومن عداهم وذهبت الرسل من الحرمين الى يزيد باخبـار مذعرة وبصورة مكبرة دعته الى التأهب عليهما بكل ما اوتي من قوة ومكيدة فارسل عمرو بن سعيد والياً على

المدينة واميراً على الموسم مزوداً بالتعاليم وموعوداً بالتأييد فقدم مكة ليلة التروية .

* * *

(١٦)
وضعية الامام في مكة

حل الحسين في حرم الله مستجيراً به ممن يريدون ارغامه على مبايعته لرجل الجور والفجور وقد استحسن المسلمون اعتصابه واعتصامه بالتقاليد المقدسة عند المسلمين فاخذ المتقدمون الى الحج يتهافتون عليه ويهتفون بالدعوة اليه ويطوفون حوله هذا يلتمس العلم والحديث وذاك يقتبس منه االحكم النافعة والكلم الجامعة ليهتدي بانوارها في ظلمات الحياة والرجل يهم مرآة الكرامة والشهامة ومثال الحكمة والسلامة فطارت في الاقطار اخباره وآثاره فتواترت الكتب والرسل والوعود والوفود سيما من كوفة العراق « عاصمة ابيه » من وجوه شيعته ومواليه اذ بلغهم هلاك معاوية فارجفوا بيزيد وعرفوا خبر الحسين وامتناعه من بيعته وما كان من امر ابن الزبير في ذلك وخروجهما الى مكة فاجتمعت الشيعة بالكوفة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي فذكروا هلاك

معاوية فحمد الله سليمان واثنى عليه ثم قال ان معاوية قد هلك وان حسيناً قد نقض على القوم امرهم وقد خرج الى مكة وانتم شيعته وشيعة ابيه فان كنتم تعلمون انكم ناصروه ومجاهدوا عدوه فاكتبوا اليه وان خفتم الفشل والوهن فلا تغروا الرجل فى نفسه . قالوا لا بل نقاتل عدوه ونقتل انفسنا دونه : كتبوا اليه الكتب فى اواخر شعبان .

وبينما ترى فى الكتب المرسلة كتابا بامضاء الواحد والاثنين وانما هي رقاع « مضابط » موقعة باسماء احاد وعشرات من وجهاء ورؤساء « شيوخ » يعترفون بامامته ويتمنون قدومه اليهم « بالفاظ جذابة » ولكن كذابة « ومواعيد جلابة » لكن خلابة والمشهور احصوا عليه فى ايام قلائل كتب اثنى عشر الف فاختلفت عند ذلك الاشارات عليه من اصحابه وخاصته فمنهم المشير عليه باقامة مكة وارسال عماله ودعاته الى الجهات .

ومنهم المشير عليه بالذهاب الى اليمن منبت الصدق والايمان ، مهب الحكمة والمروءة وقد سبق منهم لابيه ولأمه الصادق منذ ولاء النبي « ص » عليهم « لولا ان المتوجه الى اليمن ينقطع خط رجعته كما تنقطع مواصلاته مع الآفاق »

ومنهم المشير عليه بالمسير الى العراق عاصمة ابيه وموطن

اصحابه ومواليه ومعدن الفروسة والفراسة ومنبت الاموال والرجال وهما قوام كل حكومة .

* * *

(١٧)

الحسين «ع» يختار الكوفة

كانت خطة الحسين «ع» الى حين تواتر الرسل والكتب اليه خطة دفاع عن نفسه والالتجاء من آثام بيعة يزيد الى ملجأ حصين : غير ان صريخ البلاد والعباد وهتاف الانصار والامصار به وله واليه حولا فكره من دفاع محدود الى دفاع وسيع النطاق رجاء نصرة الدين ودفع عادية الظلمة عن المسلمين فاستخار الله وندب الى العراق (بعدما كتب اليهم) ليث بني عقيل مسلماً ابن عمه حتى اذا وجدهم على ما كتبوا اليه توجه اليهم بنفسه واهله وكان مسلم كبقية آل علي رجل الصدق والصفاء ومثال الشجاعة والايمان فقام لامر صهره وسيده الحسين (ع) وما قدم الكوفة الا وتكوفت جماهير الرؤساء لاخذ يمينه يبايعونه نائباً عن الحسين (ع) وقد كان لآل علي «ع» وفي صدورهم عتاب مع اهل الكوفة في خذلانهم الحسن بن علي (ع) واغترارهم بدراهم معاوية لكن حسن

استقبالهم لمسلم محا كل عتاب وكفر كل ذنب سيما وان الكرام سريعو الرضا والمصلح لايحفظ غلاً او حقدا .

فكتب مسلم الى الحسين «ع» باقبال العامة واخلاص الخاصة نادمين على مافرطوا فى جنب البيت الهاشمي الذي كان سلطانه انفع لدينهم ودنياهم وحث الحسين (ع) على القدوم الى العراق ليجدد على ربوعه معالم اسلافه .

* * *

(١٨)
بنو امية والخطر الحسيني

اخذت قضية الحسين (ع) تحرك العزائم وتنبه المشاعر فى الدوائر الاموية وساد القلق على حلفائهم واوليائهم وهم عالمون ان حسيناً يضرب على ايدى الجائرين ولا يولي فاسقاً امر المسلمين ففدت رجال الحكم الاموي السنة وعيوناً واقلاماً وسيوفاً ضد الحركة الحسينية سيما فى مناطق العراق والحجاز واستفزوا قبل كل شيء حكومة الشام والهيئة المركزية بالتأهب للخطر الهاشمي فكتب عمر بن سعد وعمارة بن عقبة وعبدالله بن مسلم واضرابهم الى يزيد : اما بعد : فان مسلم بن عقيل قدم الكوفة وبايعته الشيعة

للحسين (ع) فان يكن لك في الكوفة حاجة فابعث اليها رجلاً قوياً ينفذ امرك ويعمل مثل عملك في عدوك فان النعمان بن بشير (والي الكوفة) رجل ضعيف او يتضعف.

وكانهم ورسلهم استلفتوا انظار حكومة الشام الى ان العراق مفتاح الشرق الادنى وهو باب الشرق الاوسط فالحسين (ع) اذا رسخت اقدامه بين النهرين واهلوها شيعة ابيـــه ومدائن كسرى تواليه (منذ وليها سلمان وتزوج بشاه زنان) فانوار مباديه تشع على ربوع ايران فيكون له منهم انصار المال. وانصار الحرب. وانصار الرأي والادارة. وانصار لنشر معارف القرآن وعلوم شرع جده الزاهر فاذا توفق بهم على تكوين حكومة راقية صار اولى من امية بالولاية على الاقطار حتى الحجاز والشام لان المهيمن على العراق يهدد ابداً خطوط مواصلات الشام للحرمين وربما يحدد العراق على الشام حرب صفين حينما ارض الشـام خالية من الداهيتين معاوية وابن العاص.

اما يزيد فلم يكن منه بادئ بدء سوى استشارة «سرجون» مولى ابيه معاوية في كتب القوم اليه فاشار عليه باستعمال عبيدالله بن زياد على العراق وكانت بينه وبين يزيد برودة وابرز سرجون ليزيد عهداً كان معاوية قد كتبه في هذا الشأن قبيل وفاته حسب ماذكره المؤرخون كابن عبد ربه في ص ٣٠٦ مج ٢ من العقد الفريد ومثله

فى ص ١٨٤ من ارشاد المفيد فوافق يزيد على ذلك وانهى الى ابن زياد امره وكتب اليه: امابعد: فانه كتب الي شيعتي من اهل الكوفة يخبروني ان ابن عقيل فيها يجمع الجموع ليشق عصا المسلمين فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي الكوفة فتطلب ابن عقيل طلب الخرزة حتى تثقفها وتوثقه او تقتله او تنفيه .. فاخذ ابن زياد من كتاب يزيد ورسوله قوة وبصيرة وصلاحية واسعة في صرف المال وبث المواعيد ومنحه الاختيارات التامة .

رأت حكومة يزيد من الدهاء والحزم سكوتها عن ابن الزبير موقتاً حتى يحسم الزمان امر الحسين (ع) الذى اصبح يهدد كيان امية اي تهديد فاذا قضت امية لبانتها من الحسين (ع) سهل عليها امر ابن الزبير لان المرعوية تسود على اضداد يزيد بعد الاجهاز على الحركة الحسينية ولان موقع ابن الزبير فى النفوس ليس كموقع الحسين (ع) سيما وابن الزبير شحيح (ولا يسود الا من يجود) ولان ابن الزبير لم يرتبط ببلاد ذات خيرات وبركات كالعراق واليمن حتى يستفيد من ميرتها وذخيرتها لجيشه لو اقتضى له جيش ! فلو فرض استمراره على خلاف يزيد بعد الحسين (ع) فجند امية يحاصره في بلاد الحجاز القاحلة بين الجبال والرمال حتى يسلم هو وجنده او يقاتل وحده والوحيد مغلوب .

* * *

(١٩)
الكوفة في نظر الحسين (ع)

شاعت مبايعة العراق للحسين (ع) بالامامة ففرح اولياؤه واهل الحرمين وتفألوا من ذلك بعود الحق الى اهله عسى ان تموت البدع وتحيا السنن لكن خاصة الحسين (ع) بعد الاطلاع على سفر مسلم الى العراق كانوا بين محبذ ومخطئ ويمثل الاخير عبدالله بن عباس ض) فجاء الى الحسين (ع) يحذره من الرواح الى العراق ويذكره بخذلانهم اخاه وعصيانهم اباه في حين انهم لم يكونوا يحلمون بامام كأبي الحسن (ع) اشرف الناس واذ كاهم وافصحهم واسخاهم واعلمهم واتقاهم يلبس الخشن ويكسوهم حلله ويبيت طاويا وينفق عليهم ما كله ويكد من سعي وسقي ويتصدق على الفقراء واذا شنت عليهم الغارات فهو في مقدمة المدافعين عنهم يخوض بنفسه حومة الوغى حتى يهزم الجمع ويولون الدبر. فأي امام يكون لهم كعلي (ع) وكيف كافئوه واهله في حياته وبعد وفاته.

نعم ان ابن العباس كان حبر الامة وولي الأئمة رباه امير المؤمنين «ع» وعلمه واسر اليه من صفوة معارفه وكان راجح العقل والفضل والاخلاق وكان من اعز اقرانه على الحسين (ع) فان علياً قام في سنوات اعتزاله الخلافة بتربية غلمة في المدينة من اسرته واحبته.

لكن الامام لم يأخذ برأي محذر اذ كان يحسب نفسه في واد والمحذر في واد: فحسين الفخار (ونفس ابيه بين جنبيه) لا يسعه الا ان يلبي المستغيث به ولا يطيق الصبر على محق الدين وسحق الموحدين ولو ذاق في جهاده الامرين .

ان غاية ما كان يراه الحسين « ع » في تحذير المحذرين ان العراق لا يفي بوعده ولا يقوم على عهده فهب ان ذلك كذلك فما ضر الامام ان يتم الحجة عليهم قبل ان يتموا الحجة عليه فان ظفر بمطلبه من ابادة الظالمين فبها ونعمت والا سار عنهم الى الثغور القاصية حتى يفتح الله عليه بالحق وهو خير الفاتحين او يأتيه الموت فيلاقي ربه غير خاضع لاعدائه .

اما رحل الحسين«ع» وفتيته فكانوا كلما ذكروا العراق تجاذبت لديهم ذكرياته الحسنى وتذكروا حنانه نحو الغريب وطلاوة الحديث الجذاب والعواطف الرقيقة وذكروا عذوبة مائه وطيب هوائه علاوة ذكرى من ألفوه بالكوفة ممن تبودلت بينه وبينهم الحقوق والنعم والعواطف والحسنات .

فكأن هذه والتي سبقت خواطر مهمة ادت الى المسير نحو العراق وقبول ما استدعاه وكيله الامين (مسلم) في كتابه غير ان الجميع واثقون من ان الرحيل الى العراق لو كان فانما يكون بعد فريضة الحج وبعد الاضحى .

(٢٠)

خروج الحسين «ع» من مكة

كان الحسين «ع» اوسع علماً واقوى ديناً ممن انتقدوا عليه الخروج من مكة قبل اكمال الحج مستبدلاً حجه بعمرة مفردة ليتسنى له الخروج يوم التروية ومجاوزة حدود الحرم باقرب وقت ممكن اذ صار بين جاذب ودافع تجذبه ظاهراً انباء حجاج العراق بان ابن زياد تأهب للخروج من البصرة نحو الكوفة والحسين «ع» يعرف مبلغ دهائه وريائه وقوة اقدامه وجسارته وانه اذا سبق الحسين «ع» الى الكوفة قلب القلوب وقطع عليه الدروب واستعمل لخذلان مسلم كل وسيلة وحيلة وان مسلماً بنفسيته الحرية قد تخفى عليه الحركات السياسية فلا ينجح مع ذلك الشيطان رجل المروءة والايمان فخرج الى الكوفة مسرعاً انقاذاً لمسلم وللمسلمين.

واما دافعه من الحرم فعلمه بالمكايد المدبرة من خصومه لحصره او اغتياله في مكة من حين تفرق الحاج منها فيصبح اما مقتولاً او مقاتلاً وفي كلا الامرين هتك الحرم الممنوع فيه سفك الدم وقد بدت قرينة مناوأته في قدوم عمرو بن سعيد عامل يزيد قبل التروية بيوم وتقدمه الى الصلاة بالمسلمين وبثه العيون حول الحسين وحول ابن الزبير فصلى الامام فطاف وسعى وحل الاحرام ثم خرج

وبعدما عرف عمرو بن سعيد صرخ بالناس قائلاً (اركبوا كل بعير بين السماء والارض واطلبوا حسيناً) ولم يحتشم حرمة البلد الامين ولا النبي الامين .

بادر الحسين «ع» بمسيره قبل ان يبادر العدو الى صده واحصاره او اغتياله والجأته الضرورة الى حركة غير منتظرة وخارج الحسبان واوجد بمسيره هذا ثورة فكرية اوجبت انتشار خبره بسرعة البرق . وحقاً اقول ان الحسين(ع) مجتهد في نيته ومستفرغ كلا في وسعه في نشر دعوته في عصر ومصر شحت وسائل النشر فيها فكان لخروجه في غير اوانه دوي رن صداه في الداخل والخارج والناس يتسائلون عن نبأه العظيم وعن ان الحسين (ع) هل حج او خرج ؟ ولماذا ؟ ومتى ؟ وكيف ؟ والى اين ؟

هذا والحسين (ع) يسير بموكبه الفخيم وحوله اهله كهالة حول القمر كأن موكبه داعية من دعاته فان الخارج يومئذ من ارض الحج والناس متوجهون الى الحج لابد وان يستلفت الى نفسه الانظار وان كان راكباً واحداً فكيف بركب او موكب ؟ انه لأمر مريب وغريب يستوقف الناظر ويستجوب كل عابر .

وهذه ايضاً عملية من شأنها شهرة امر الامام وانتشار خبره الهام : وممن كان قادماً الى الحج واستجلب نظره الركب

والموكب الفرزدق الشاعر قال حججت بامي في سنة ستين فبينا انا اسوق بعيرها حين دخلت الحرم اذ لقيت الحسين بن علي عليهما السلام خارجاً من مكة مع اسيافه واتراسه فقلت لمن هذا القطار ؟ فقيل للحسين بن علي عليهما السلام فاتيته وسلمت عليه وقلت له اعطاك الله سؤلك بابي انت وامي يا بن رسول الله ما اعجلك عن الحج فقال لولم اعجل لاخذت ثم قال لي من انت قلت امرؤ من العرب فلا والله مافتشني عن اكثر من ذلك ثم قال لي اخبرني عن الناس خلفك فقلت من الخبير سئلت . قلوب الناس معك واسيافهم عليك والقضاء ينزل من السماء وسألته عن اشياء من نذور ومناسك فاخبرني بها وحرك راحلته وقال السلام عليك .

وكان موكب الحسين ع) يسير في بطون الفيافي والمفاوز وقوافل القلوب تشايعه من بعد بعيد وخفيف الحاذ من عشاقه مصمم على الالتحاق بموكبه بعد اداء فريضه الحج باقرب ساعة لكن الامام يجد في مسراه والقمر دليل الركب ورفيقه ولما بلغ بطن عقبة لقيه شيخ من بني عكرمة فسئله اين تريد؟ فقال الامام الكوفة فقال الشيخ انشدك الله لما انصرفت فوالله ما تقدم الا على الاسنة وحد السيوف وان هؤلاء الذين بعثوا اليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطئوا لك الاشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأيا فقال له

الامام ليس يخفى علي الرأي ولكن الله تعالى لا يغلب على امره ثم قال (ع) والله لا يدعونني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي فاذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا اذل فرق الامم .

* * *

(٢١)

ابن زياد على الكوفة

اما عبيد الله بن زياد فقد ضم يزيد الكوفة اليه مع البصرة فحسب ذلك ضربا من الترفيع سيما وقد اعطي سعة في النفوذ والسلطة التامة العامة فمهد امره في البصرة وعهد بازمتها الى اخيه والى اعوانه المجربين خوفا من نشر الدعاية فيها لابن الزبير او الحسين «ع» وتأهب الى الكوفة من حيث لم يعلم العامة امره وسرعان ما قدمها بكل جسارة ودخلها متنكراً ومتلثما وعليه عمامة سوداء يوهم الناس انه الحسين بن علي عليهما السلام وصار من يصادفونه في خطط الكوفة وطرقاتها يزعمونه الحسين السبط فيسلمون عليه بالامامة ويحبونه بكل كرامة ويقبلون يديه ورجليه وهو لا يكلم احداً فوق راحلته حتى بلغ قصر الامارة فطرق الباب على واليها المحصور النعمان بن بشير حتى اذا عرفه فتح الباب ودخل .

عند ذلك فشى خبره وانه ابن زياد فباتت الكوفة تلك الليلة تغلي كالمرجل والناس بين مثبت ومثبط وابن زياد دخل البلدة وحده وعلى حين غرة ولم ينزل الا في مركز الحكم واخذ في قبضته المال والسلاح ورتب في ليلته على الدوائر المهمة من لم يتجاهروا بعمية مسلم واصبح مناديه يجمع الناس لخطابته في الجامع الاعظم فرقى المنبر بكل جسارة وجسارة الخطيب تعطي لكلامه قوة نفوذ وتأثير على الاوهام فصار يعد ويوعد لا عن لسان الله ورسوله بل عن لسان اميره يزيد فبلغهم سلامه ولكن الناس لم يردوا السلام عليه اولاً حتى اخذ يطمع المطيع بمواعيد جسام ويهدد مخالفيه بحد الحسام . والسيف مصلت بيده فعندذلك رد السلام عليه نفر قليل ثم اضحى مناديه يجمع الرؤساء والعرفاء اليه لاخذ المواثيق وانجاز المواعيد وتوزيع العطايا ومعاقبة المتخلفين عقوبة صارمة فهرع لندائه خلق كثير وانقلبت القلوب وانحرفت الوجوه وتبدلت لهجات الاندية ونشريات الشيع .

ثم لاينقضي العجب من خيبة الكوفة في نهضتها الا بعد التدبر في اسبابها واسرارها اذ باغت ابن زياد الكوفيين نزيل الحسين (ع) حتى استقر في دار الامارة بين حامية مستعدة وقد كان الواجب على اهل الكوفة بعدما لبى الحسين دعوتهم وارساله

مسلماً وكيلاً عنه ان تجتمع احياؤها ويتحد رؤساؤها فيخرجوا عامل يزيد وحاشيته ويسلموا دوائرها الى وكيل الحسين ع) وان يقترحوا عليه من الاعمال المهمة ماهم ادرى به واعرف ومسلم لم يقدم عليهم كوال مختار او مفوض مطلق لبستقل في اعماله واعمالهم بالتصرف والمسئولية وانما بعثـــه الحسين «ع» كمتمد يشرف على امرهم ويستطلع حقيقة خبرهم : لكن الكوفيين (ياللأسف) غرروا مسلماً واغتروا ولم يغتنموا صفاء جوهم وتواني عدوهم الى ان دهمهم ابن زياد وفرق جمعهم بالوعد والوعيد وسكن فورتهم بالطمع والتهديد حتى اذا سكت الضجيج من حول مسلم نفى الرجال العاملين لمعونة مسلم من بلده وزج في السجن من وجوه الشيعة امثال المختار الثقفي والمسيب ابن نجية وسليمان ورفاعة وغيرهم ممن لم تؤثر عليهم التضييقات ولا اغتروا بباطل الوعد واستوظف آخرين واختفى بعد ذلك اكثر المتهوسين في زوايا البيوت .

* * *

(٢٢)

مقتل مسلم وهاني

ان مسلماً (وهو الذي بايعه اكثر من ثلاثين الف مسلم) بقي

وحيداً فريداً بعد القبض على الوجوه من اوليائه كالمختار الثقفي وسليمان الخزاعي فلاذ بصديقه هاني اكبر مشايخ الكوفة سناً وشأناً وبصيرة وعشيرة اذ كان معمراً فوق الثمانين وشيخ كندة اعظم ارباع الكوفة وكان اذا صرخ لباه ثلاثون الف سيف وكان هو وابوه من احبة علي وانصاره في حروبه العراقية .

فهنأ هاني مسلماً بالرحب والسعة والحفاظ حتى يفرج الله عنه والتزم هاني بالتمارض مجاملة مع ابن زياد في عدم اجابته لدعوته لكن ابن زياد يطمع في هاني وسابقته معه ويرى في جذب امثاله من المتنفذين الحقيقيين معونة كبرى لانفاذ مقاصده .

ويروى ان هانياً او شريكاً اقترح على عميد آل عقيل ومندوب الحسين (مسلم) الفتك بابن زياد غيلة وغفلة لكن مسلماً لم يجب بسوى كلمة (انا اهل بيت نكره الغدر) .

كلمة كبيرة المغزى بعيدة المرمى فان آل علي «ع» من قوة تمسكهم بالحق والصدق نبذوا الغدر والمكر حتى لدى الضرورة واختاروا النصر الآجل بقوة الحق على النصر العاجل بالخديعة شنشنة فيهم معروفة عن اسلافهم وموروثة في اخلافهم كأنهم مخلوقون لاقامة حكومة الحق والفضيلة في قلوب العرفاء الاصفياء وقد حفظ التاريخ لهم الكراسي في القلوب .

و بالجملة فقد دبر ابن مرجانة حيلة الفتك بهاني فاحضره لديه بحجة مداولة الرأي معه فى الشئون الداخلية .

غير ان هانياً بعدما حضر لديه غدر به ابن زياد وشتم عرصه وهشم انفه وقطع رأسه .

وكان لهذه الحادثة دوي في الرؤس وفى النفوس واستولت بذلك دهشة على الجمهور ادت الى تفرق الناس من حول مسلم فامسى وحيداً حائراً بنفسه ومبيته واشرف في طريقه على امرأة صالحة فى كندة (تسمى طوعه وهي ام ولد حازت شرف التاريخ اذ عرفت قيمة الفضيلة بينما قومها ضيعوا هذا الشرف الخالد وغرتهم المطامع) جالسة على باب دارها فاستسقاها ماء فجائته به وشرب ثم وقف يطيل النظر الى مبدء الشارع تارة والى منفذه اخرى كأنه يتوقع من يتطلبه فتوسمت المرأة فيه غربته وسئلته فقال نعم انا مسلم بن عقيل خذلني هؤلاء فاستعظمت طوعة ذلك ودعته الى بيتها لتخفيه حتى الصباح وفرشت له في بيت وعرضت عليه العشاء فلم يتعش ولم يكن باسرع من ان جاء ابنها وقد كان من الغوغاء فاوهمه تردد امه الى البيت وقال لامه والله لتريني كثرة دخولك هذا البيت ثم ألح عليها فاخذت عليه العهود كي لا يفشي سرها و... مندوب الحسين (ع) واخبرته بالامر بعد الايمان ثم ان الغلام غدا

عند الصباح الى ابن الاشعث وافشى له سر مسلم ومبيته فابلغ بذلك ابن زياد فارسل الجموع للقبض عليه .

بلى ان ابطالاً صادقين كبني هاشم لو تأخروا فى ميدان السياسة والخداع فلهم قصب السبق فى ميادين العلم والدين والجود والشرف ومقارعة الكتائب .

وكان ندب بني هاشم يتلو القرآن دبر صلاته اذ سمع وقع حوافر الخيل وهمهمة الفرسان فاوجست اليه نفسه بدنو الاجل فبرز ليث بنى عقيل من عرينه مستقبلاً باب الدار والعسكر وعليهم محمد بن الاشعث وانتهى امر المتقابلين الى النزال ونزيل الكوفة راجل وهم فرسان . لكن فحل بنى عقيل شد عليهم شد الضرغام على الانعام وهم يولونه الادبار ويستنجدون بالحاميات وقذائف النار ترمى عليه من السطوح .

اضطر ابن الاشعث الى وعده مسلماً بالامان اذا التى سلاحه فقال لا امان لكم وبعدما كرروا عليه رأى التسليم فريضة محافظة للنفس وحقناً للدماء فسلم اليهم نفسه وسلاحه ثم استولوا عليه فعرف انه مخدوع فندم ولات حين مندم .

ولما ادخلوه على ابن زياد لم يسلم عليه بالامره فقال له الحرسي ألا تسلم على الامير فقال ان كان يريد قتلي فما سلامي عليه فقال له

ابن زياد لعمري لتقتلن قال فدعني اوصي بعض قومي قال افعل فنظر مسلم الى جلساء عبيد الله وفيهم عمر بن سعد بن ابي وقاص فقال ياعمر ان بيني وبينك قرابة ولي اليك حاجة وهي سر فامتنع عمر ان يسمع منه فقال له عبيد الله لمَ تمتنع ان تنظر في حاجة ابن عمك فقام معه فجلس حيث ينظر اليهما ابن زياد فقال له ان علي بالكوفة ديناً استدنته منذ قدمت الكوفة (سبعمائة درهم) فبع سيفي ودرعي فاقضها عني واذا قتلت فاستوهب جثتي من ابن زياد فوارها وابعث الى الحسين (ع) من يرده فاني قد كتبت اليه واعلمته ان الناس معه ولا اراه الا مقبلاً ومعه تسعون انساناً بين رجل وامرأة وطفل فقال عمر لابن زياد أتدري ايها الامير ماقال ؟ لي فقال له ابن زياد (على مارواه في عقد الفريد) اكتم على ابن عمك قال هو اعظم من ذلك انه ذكر كذا وكذا : فقال له ابن زياد انه لايخونك الامين ولكن قد ائتمن الخائن . اما ماله فهو له ولسنا نمنعك ان تصنع به ما احببت واما جثته فانا لانبالي اذا قتلناه ماصنع بها واما حسين (ع) فان هو لم يردنا لم نرده ثم قال لعمر بن سعد اما والله اذ دللت عليه لايقاتله احد غيرك .

ثم اقبل ابن زياد على مسلم يشتمه ويشتم الحسين وعلياً وعقيلاً ومسلم لايكلمه ثم قال ابن زياد اصعدوا به فوق القصر

واضربوا عنقه ثم اتبعوه جسده فصعدوا به وهو يكبر ويستغفر الله ويصلي على رسوله ويقول اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا وخذلونا فضربت عنقه واتبع جسده .

كان مقتل مسلم يوم الاربعاء لتسع مضين من ذي الحجة (يوم عرفة) سنة ستين من الهجرة وقد كان خروجه في الكوفة يوم الثلاثا ثامن ذي الحجة (يوم التروية) وهو اليوم الذي قتل فيه هاني ويوم خرج فيه الحسين (ع) من مكة يقصد الكوفة ملبياً دعوتها .

: اجل : قتل مسلم وقتل به امل كل مسلم واسقطوا بجسمه من اعلا القصر (وسقوط الجسم ولا سقوط الاسم) : هذا وعيون الناس ترى هانئاً في السوق وابن عقيل وما جثة الرجلين بذلك المنظر الفظيع الا آية انحراف الحزب السفياني عن سنن الدين وموعظة موقظة للغافلين وفي ذلك عبرة لمن يعتبر وفي كوفة الخذلان ما اكثر العبر واقل المعتبر ؟

* * *

(٤٣)

الامام ونعي مسلم

روى عبدالله بن سليمان والمنذر بن المشمعل الاسديان قالا

لما قضينا حجنا لم تكن لنا همة الا اللحاق بالحسين (ع) في الطريق لننظر
مايكون من امره فاقبلنا ترقل بنا ناقتانا مسرعين حتى لحقناه بزرود
فلما دنونا منه اذا نحن برجل من اهل الكوفة قد عدل عن الطريق
حين رأى الحسين فوقف الحسين « ع » كأنه يريده ثم تركه
ومضى فقال احدنا لصاحبه اذهب بنا الى هـذا لنسئله فان
عنده خبر الكوفة فمضينا حتى انتهينا اليه فقلنا السلام عليك فقال
وعليكم السلام قلنا من الرجل قال اسدي قلنا له ونحن اسديان فمن انت
قال انا بكر بن فلان وانتسب وانتسبنا ثم قلنا له اخبرنا عن الناس
وراءك قال نعم لم اخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل
وهاني بن عروة ورأيتهما يجران بارجلهما في السوق فاقبلنا حتى
لحقنا الحسين فسايرناه حتى نزل الثعلبية ممسياً فجئناه حين نزل فسلمنا
عليه فرد علينا السلام فقلنا له رحمك الله ان عندنا خبراً ان شئت
حدثناك علانية وان شئت سراً فنظر الينا والى اصحابه ثم قال مادون
هؤلاء سر فقلنا له أرأيت الراكب الذي استقبلته عشية امس قال
نعم وقد اردت مسئلته فقلنا قد والله استبرأنا لك خبره وكفيناك
مسئلته وهو امرؤ منا ذو رأي وصدق وعقل وانه حدثنا انه
لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم وهاني ورآهما يجران في السوق
بارجلهما فقال . انا لله وانا اليه راجعون . رحمة الله عليهما يردد ذلك

مراراً فقلنا له تنشدك الله فى نفسك واهل بيتك الا انصرفت من مكانك هذا فانه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة بل نتخوف ان يكونوا عليك : فنظر الى بني عقيل فقال ما ترون فقد قتل مسلم فقالوا والله لا نرجع حتى نصيب ثأرنا او نذوق ماذاق فاقبل علينا الحسين (ع) وقال لاخير فى العيش بعد هؤلاء فعلمنا انه قد عزم رأيه على المسير .

سمع الحسين (ع) حوالى (زرود) نعى عميد بيته ولكنه لم يحول عن نيته ولا غير وضعيته مع صحبه واهـــله ولا ابدى من مظاهر الحزن سوى الاسترجاع واخفى كل حزنه فى اعماق قلبه لان العيون لدى الشدائد شاخصة الى الزعيم فان بدى عليه لائحة حزن عم الغم احباءه وتوهم كل منهم ماشاء الله ان يتوهم وارتبك على الزعيم امر نظمه واحكمه غير ان حسيناً دخل خباءه وطلب طفلة مسلم واجلسها فى حجره يمسح على رأسها بيده يسلي بها نفسه ويسليها بذلك .

نعم : حس الجميع وفى مقدمتهم الحسين (ع) بالانكسار النهائي بعدما جرى على مسلم وتبدل حالة الكوفة وكانت هي المطمع الوحيد لصحب الحسين (ع) والملجأ الحصين لرحله واهله فاذا كانت آمال الحسين « ع » معقودة على الكوفة وقد انقلبت هي عليه وقتلت معتمد الحسين « ع » فما معنى التوجه اليها ؟ واى اعتماد بقى عليها ؟

: لكن ثبات الحسين «ع» على سيرته ومسراه ضرب على هذه الاوهام وصانها من التفرق وشبل علي «ع» يرى في توجهه الى الكوفة بعد كل ذلك ابلاغ الحجة والاعلام بانه اجاب دعوتهم ولبى صرختهم وانه لم ينحرف عن نصرتهم حتى بعد انحرافهم عن نصرته وقتلهم مبعوثه مع شيعته فان الامام يعامل الملة دون الاشخاص والشخصيات وهو يأمل مع ذلك في مسلكه التحاق الانصار وتلبية الامصار وانقلاب حالة الكوفة كرة اخرى .

ولما شاع نعي مسلم في ركب الحسين (ع) وانقلاب الكوفة ضده بعد ان كانت المطمع الوحيد لتحقيق آمال اهله وصحبه صار كثير من ذوي الطمع وذباب المجتمع يتفرقون عنه سراً وجهاراً ليلاً ونهاراً وسلموا ولي نعمتهم حين الوثبة وخذلوه عند النكبة بعدما كانوا يضيقون فسيح خوانه حتى على اخوانه . لاضير فان خف رحل الحسين (ع) من القش وذوي الغش فقد ملأ فراغهم ابطال صدق ممن عشقوا الحسين (ع) لا خوفاً من رجاله ولا طمعاً في ماله بل وجدوا من اختار نفسه ونفيسه فداء للاسلام ففدوه بكل ماعز وهان .

* * *

(٢٤)

استعداد ابن زياد

بعدما تمكن ابن زياد من ابطال الحركة الحسينية في داخلية الكوفة واستأصل جذورها واباد بذورها بالوعد والوعيد والسجن والتبعيد والفتك والهتك والتخويف والتوظيف واستعماله السيف والرغيف ومزاج الضرب بالضرب واطمأن من داخلية الكوفة وكسب الامنية التامة عمد الى الخارج وتمسك بالوسائل الفعاله ضد الحسين «ع» حينما استخبر نزوله (في ذات عرق) ودخوله العراق وبابه القادسية (الرحبة) فارسل اليها جيشاً عليه الحصين بن نمير صاحب شرطة عبيد الله في الكوفة ليقطع على القادمين من الحجاز طريقهم ويؤمن الضواحي والنواحي من الغارات والثورات ويحفظ خطوط المواصلات بين الكوفة والشام فامر ان تؤخذ الطرق بينها وبين واقصة الى البصرة فلا يدعون احداً يلج ولا احداً يخرج ومد نطاق جيشه الى جذعان (خفان) من جهة والى القطقطانية من الاخرى فاحتلها حصين بجيشه وحصنها ثم ارسل الى العيون والآبار (التي على طول طريق الحجاز) مفارز من عسكره اذ القوافل مهما حادت في مسيرها عن الطرق المعروفة فهي مضطرة الى النزول على الآبار والعيون سقياً للراحلة او ترويحاً للسابلة .

وكان ممن ارسله الى حراسة البر الحر بن يزيد الرياحي ومعه الف فارس .

* * *

(٢٥)

الرياحي مع الحسين (ع)

النياق فى بادية الحجاز تقليته الوحيدة والابل تطيق الظمأ اياماً وتقنع بالقوت الزهيد مع تحملها ما لا يطاق من الاثقال والمشاق ولكنها فى ثالث يوم من ظمئها تشرف على العطب سيما فى الحر فلابد من تنشيطها بالنغمات الناصة (الحدية) او التزود من الماء ومياه الآبار والعيون نزرة وقليلة فى مفاوز الحجاز وبر الشام فتبعد الواحدة عن الاخرى مرحلة او مراحل على خطوط الطرق المألوفة اما من حاد عنها فقد لايجد الماء مهما هام بوجهه فى المهامه والقفار فلا منهل يرويه ولا مأهل يأويه : وقد تلقى ركب الحسين (ع) بعد وصوله الى (شراف) اوامره بالتزود من مائها فوق قدر الحاجة بكثير ولم يعرفوا سر ذلك حتى اذا بلغوا (ذى حسم) كبر رجل من اصحابه تكبيرة الاعجاب وزعم انه رأى نخيل الكوفة وبعد ان اجمعوا على استبعاد رأيه وتحققوا علموا انها رؤس رماح وطالعة

كفاح فتحيز الحسين (ع) برحله الى هضاب (ذى حسم) واخـذ التحوطات الحربية ليلوذ رحله بالهضاب فيدافع الرمات من فوقها تأميناً لخطة الدفاع عن النواميس بكل معانيها وما لبثوا حتى اسفرت الآثار عن الحـر بن يزيد الرياحي ومعه الف فارس ارسلته القيادة العامة الاموية لحراسة البر ولـكي يقطع على الحسين « ع » طريقه اينما صادفوه ثم لايفارقونه الى ان يأتوا به الى اقرب مركز للحكومة حتى اذا اطمأنوا من مسالمته ومبايعته ادخلوه على ابن زياد . اما حر واصحابه فقبل ان يظهروا مهمتهم اظهروا بلسان الحال والمقال عطشهم المفرط وانهم من طول جولانهم في البر وفي الحر حيث لا ماء ولا مأوى قد اشرفوا على العطب فامر حسين الفضيلة فتيانه وغلمانه بسقاية الاعداء وارواء خيلهم .

فعرف عندئذ صحب الحسين « ع » سر استعداده بالمـاء ليوم سماح اوكفاح : ولما استعبد الحسين الحر بالبر (وبالبر يستعبد الحر) سئله عن غايته فاجاب على استحياء بانه مرسول اليه ليوفده على ابن زياد ولما قال له الحسين « ع » قم الى اصحابك فصل بهم ونحن نصلي مع اصحابنا اجابه الحر بل تقـدم الى الصلاة يابن رسول الله ونحن نصلي بصلاتك كأنه يذكر الحاضرين ان الحسين (ع امام حق وابن امام وان صلاة غيره بصلاته تصح وبصلاته تقام .

ثم ان الحسين (ع) لم يسعه (بعد ان رأى من كتبوا اليه كتائب عليه) الا الذكرى والاحتجاج فقال : يا اهل الكوفة انكم كتبتم الي ودعوتموني الى العراق لانقاذكم من سلطة الجور والفجور فجئتكم ملبياً دعوتكم فان كنتم قد تغيرتم عما كنتم عليه فاتركوني ارجع من حيث اتيت قال هذا واخرج لهم الكتب اعتماداً على شهامة الحر وصدور الاحرار قبور الاسرار ولاتمام الحجة على الناظرين من اصحابه فاعتذر الحر بانه ليس ممن كتب اليه .

ولا ننسى ان الحر قد هاجت عليه في ذلك الموقف الرهيب افكار متضاربة لم تطاوعه الحالة الحاضرة ان يختار منها سوى طريقة متوسطة عرضها على الامام وهي ان يسلك من فجاج البر سبيلاً وسطاً لا يؤدي به الى الشام ولا يدخله الكوفة حتى يكون ذلك نجاة الطرفين واستحسنه الحسين (ع) لانه يريد الاتقاء من شر الاشرار دون ان يبلغ احداً بسوء . وظن الحر لنفسه في ذلك مناصاً من مظلمة ايذاء العترة النبوية ومقنعاً لامراء امية اذ دفع عن عراقهم نهضة الحسين (ع) واراحهم عنها بدون سفك مهج ولا خوض لجج فكتب بعد نزوله (اقساس مالك) كتاباً الى ابن زياد يتضمن الرأي والرواية .

* * *

(٢٦)

الكوفة تقاد الى الحرب

خضعت الكوفة لدهاء ابن زياد بعد مقتل مسلم وانقادت اليه احياؤها ورؤساؤها وذللت صعابها تذليلاً لكنه لم يزل قلق البال غير مستريح الخيال لعامه بمبلغ تأثير الدعوة الحسينية في المجامع والمسامع ومال في العراق من سابقة ولاء واولياء وكان ابن زياد محنكاً قد درس هو وابوه حالة العراق الروحية وسرعة انقلاب هوائه واهوائه وانذ بنائه نائمة وقائمة كم اغترت بهما اولياء الامور والساسة ! فجائز ان يأتيها الحسين (ع) بجنود لا قبل له بهـــا او يتمركز بالقادسية فتلتف حوله قبائل بادية الشام وعشائر الفرات مما بين الكوفة والبصرة او يحدث من اقترابه دوي ينعكس صداه في داخل الكوفة فيستفز الحسيات والنفسيات فيثورون عليه ويستخرجون من سجونه وجوه الشيعة ورؤس القبائل فلا يمسي ابن زياد الا قتيلاً او اسيراً وعلى اي يتهدم كل مابناه ولا يعود عليه التسامح الا بالخسران وعليه الهدف ابن زياد بجميع قواه الى تأمين الخارج بعد تعزيز الامن في الداخل وتحشيده القوى لمحاربة الحسين «ع» فبادر الى احتلال القادسية قبل ان يسبقه اليها الحسين «ع» والنقاط المهمة في الحدود على خطوط سابلة الحجاز ومالبث ان

ورد عليه كتاب الحر الرياحي واتته البشائر تترى على ان الحسين (ع) ورد وابعد عن حدود الكوفة الى جهة الشمال الغربي مسافة قاصية هو و نفر قليل من خاصته بحيث لا يعود من الممكن ان يهيمن عَلَى ضواحي الكوفة فضلاً عمـا بينها وبين البصرة وان جيش الحر الرياحي اصبح يراقبه في المسير وهو كاف لصده او رده .

بات ابن زياد ليلته هادئ البال مستقر الخيال وكتب بذلك كله الى يزيد لتأمين خواطر الهيئة المركزية والمبادرة بتسجيل خدماته عند سلطانه وكأني به قد نبه على ميلان الحر وصلاته بجيشه مع الحسين «ع» وان ابن رسول الله جذاب النفوس بهديه ومستملك القلوب بحديثه فلا يبعد ان يعلن الحر في صحبته ولاءه وانضمامه اليه ويسري نبأ تمرده في امثاله من اركان القيادة العسكرية ويتسع الخرق على الراقع : او يتمركز الحسين في الانبار فيحصر على ابن زياد الميرة والذخيرة ولا يسع ابن زياد ان يحاصره بسبب وضعية النهر وموالاة عشائر البر وقربه من مدائن كسرى وانما حل سبط الرسول (ص) ناشراً دعوته الصالحة سواء العراق وايران فانها تصادف انتشاراً ولا تعدم انصاراً فوثب ابن زياد يبث المواعيد ثانية ويوزع الاموال بين العشائر والاكابر ليؤلف منها اجناداً او قوادا .

(٢٧)
ولاية ابن سعد وقيادته

كان التخوف من تسرب الدعوة الحسينية الى ماوراء الفرات وحدود العجم لايقصر عن التخوف من قدومه الكوفة لان القطرين العراقي والفارسي بينهما علائق متواصلة ومصالح متبادلة حتى لقد كان اعزام عمر بن سعد الى حرب الحسين (ع) مع ترشحه لولاية الري بعض فصول هذه الرواية المحزنة فان ولاية ايران لا تكاد تستقر لابن سعد والحسين «ع» متوجه اليها بدعوة نافعة وحجة بالغة وعائلة من لحمة النبي (ص) وبين الحسين «ع» وبين الفرس مصاهرة فى العائلة المالكة المنقرضة وكل هذه عوامل قوية لنفوذ الدعوة الحسينية فى بلاد كسرى فلم يجد والي العراقين سبيلاً الى اماتة هذا الشعار وايقاف هذا التيار خيراً من ترشيح عمر ابن سعد لولاية الري وقد كان ابوه سعد بن ابي وقاص من قواد جيشها الفاتح فلهم من شهرته كل الرعب وله تمام الرغبة فيهم اذ كانت ولاية الري ممتازة المنافع متنوعة المطامع وظاهر ان ولايتها يومئذ كانت ذات صلة قوية باضعاف الحركة الحسينية ليتسنى لواليها حرية الادارة والارادة من مزاحم مثل الحسين (ع لذلك اقنع ابن زياد عمراً باخذ التدابير اللازمة لاخضاع حسين الشرف قبل التوجه

الى مهمته الاصلية في ايران : نعم: وجد ابن زياد عمراً اصلح الناس لاخضاع الحسين (ع) سواء بغرض الاخضاع او الاقناع . اذ كان ومثذ امس الكوفيين رحماً بالحسين (ع) وعليه مسحة شرف من قريش ونسبة الى الحرمين فسرحه لمقابلة الامام خداعاً واطماعاً (واكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع) . اما ابن سعد فقد استمهل ابن زياد ليلته ليفكر مستعظماً اقدامه الى مقابلة الحسين (ع) لعلمه ان الحسين «ع» داعية حق وانه كأبيه علي «ع» افضل من ان يخدع واعقل من ان يخدع ولا يسع ابن سعد اذا قابله ان يقاتله بل يقضي عليه واجبه الديني والرحمي ان ينضم اليه ويقاتل خصومه بين يديه غير ان له في ملك الري قرة عين وبهجة نفس وراحة عائلة وتأمين مستقبل مديد فبات ليلته قلقاً ارقاً بين جاذب ودافع يجيل فكرته بين المضار والمنافع ويردد ابياته المعروفة :

فوالله ما ادري واني لحائر * افكر في امري على خطرين
أأترك ملك الري والري منيتي * ام ارجع مأثوماً بقتل حسين : الخ

وكأن خاطره الاخير حدثه بانه ان ظهر على الحسين (ع) فبها والا فحسين الفتوة اكرم من ان يعاقبه او ينتقم !! وبالجملة فلم يشعر بنفسه الا قائداً جيشاً كثيفاً الى حرب الحسين (ع) في نينوى اذ بها يلتقي الخط العراقي الايراني بالخط العراقي الحجازي وهي المرحلة

المشرفة على نقطة الانبار فبلغه نزول الحسين «ع» بكربلا قبله بيوم واحد مع قائد المفرزة الحر الرياحي .

* * *

(١٨)
منزل الحسين «ع» بكربلا

ان عوامل اليأس التي تبعت نعي مسلم وسوء صنيع الكوفة به لم تؤثر في عزيمة الحسين «ع» ولا ما بلغه من فاحش فعلهم برسوليه عبدالله بن يقطر وقيس بن مصهر الصيداوي ولا ما رآه في ملتقاه بجيش الحر لان داعي الحق لايقنط من روح الله ولكنما جيش الكوفة هو الذي صده وصرف بوجهه عنها وعن كل آماله فيها فسلك ركبه وموكبه سبيلاً وسطاً لايدرون الغاية ولايعرفون النهاية والحر يساير الامام كي يخرجه عن حدود اميره حتى يعود اليه ببشارة تؤمن باله وتطمن خياله ويخيل للناظر في الحركة الحسينية ان في خلد الامام ان يعبر الفرات الى الانبار او المدائن عسى ان يجد لدعوته انصاراً وسيعة وبيئة وسيعة فبيناهم والحر في تيامن وتياسر اذ لحقهم راكب متنكب قوسه فسلم على الحر واصحابه ودفع اليه كتاب ابن زياد فنرأه الحر على الحسين «ع» واذا فيه :

(اما بعد : فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي هذا ولا تتركه الا بالعراء في غير خضر وعلى غير ماء) الخ .

فعرضوا عليه النزول فسأل الحسين «ع» عن اسم الارض فقيل كربلاء فقال نعوذ بالله من الكرب والبلاء هل لها اسم غير هذا ؟ فقيل له : العقر فقال نعوذ بالله من العقر ماشاء الله كائن ثم قال للحر دعنا ننزل في هذه القرية (يعني نينوى) او هذه (يعني الغاضرية) او هذه (يعني الشفثية) فقال الحر : هذا رجل قد بعث الي عيناً علي فقال زهير بن القين اني والله لا ارى ان يكون بعد الذي ترون الا اشد مما ترون وان قتال هؤلاء القوم الساعة اهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم فلعمري ليأتينا من بعدهم ما لاقبل لنا به فقال الحسين « ع » ما كنت لابدأهم بالقتال ثم نزل وذلك يوم الخميس ثاني محرم .

* * *

(١٩)

جغرافية كربلا القديمة

ان لهذا البحث صلة قوية بوضوح مقتل الحسين «ع» وحوادثه التاريخية واستيفاء هـــذا البحث يكاف صاحبه اذ لايجد المنابع

الوافية بالتفاصيل الجغرافية عن كربلاء القديمة في ايام قتل الحسين «ع»
واني اجتزئ في اداء هذا الواجب بالممكن : فحسب ما اظنه :

ان كربلاء اسم قديم مأثور في حديث الحسين وابيه وجده عليهم السلام ومفسر بالكرب والبلاء وان كربلاء منحوتة من كلمة (كور بابل) العربية بمعنى مجموعة قرى بابلية منها نينوى القريبة من اراضي سدة الهندية ثم الغاضرية وتسمى اليوم اراضي الحسينية ثم كربله بتفخيم اللام بعدها هاء وتقرب اليوم من مدينة كربلاء جنوباً وشرقاً ثم كربلاء او عقر بابل وهي قرية في الشمال الغربي من الغاضريات وباطلالها اثريات مهمة .

ثم النواويس وكانت مقبرة عامة قبل الفتح الاسلامي ثم الحير ويسمى (الحائر) وهو اليوم موضع قبر الحسين «ع» الى حدود رواق بقعته المشرفة او الى حدود الصحن الشريف وكان لهذا الحائر وهدة فسيحة محدودة بسلسلة تلال ممدودة وربوات تبدأ من الشمال الشرقي (حيث منارة العبد) متصلة بموضع باب السدرة في الشمال وهكذا الى موضع الباب الزينبية من جهة الغرب ثم تنزل الى موضع الباب القبلية في جهة الجنوب وكانت هذه التلال المتقاربة تشكل للناظرين نصف دائرة على شاكلة نون مدخلها الجهة الشرقية حيث يتوجه منها الزائر الى مثوى سيدنا العباس بن علي

عليهما السلام ويجد المنقبون حتى يومنا في اثافي البيوت المحدقة بقبر الحسين «ع» آثار ارتفاعها القديم في اراضي جهات الشمال والغرب ولا يجدون في الجهة الشرقية سوى تربة رخوة واطئة الامر الذي يرشد العرفاء الى ان وضعية هذه البقعة كانت منذ عصرها القديم واطئة من جهة الشرق ورابية من جهتي الشمال والغرب على شكل هلالي وفي هذه الدائرة الهلالية حوصر ابن الزهراء «ع» في حربه حين قتل كما سيأتي .

واما نهر الفرات فكان عموده الكبير ينحدر من اعاليه يسقي القرى الى ضواحي الكوفة . وكذلك ينشق من عمود النهر (الشط) من لدن الرضوانية نهر كفرع منه يسيل على بطاح ووهاد شمال شرقي كربلاء حتى ينتهي الى قرب مثوى سيدنا العباس « ض » ثم الى نواحي الهندية ثم ينحدر فيقترن بعمود الفرات في شمال غربي قرية ذي الكفل (الكوثى القديمة) ويسمى حتى اليوم العلقمي وكان هذا الفرات الصغير من صدره الى مصبه يسمى العلقمي . والطف اسم عام لاراض تحسر عنها مياه النهر وسميت حوالي نهر العلقمي البارزة من شواطئه طفاً لذلك . وسميت حادثة الحسين «ع» فيه بواقعة الطف .

* * *

(٣٠)

الامام مصدود محصور

حل حرم الحسين «ع» حدود كربلاء في ثاني محرم سنة ٦١ هـ وانزل في بقعة منها جرداء بعيدة عن الماء والكلاء وصار معسكره زاوية مثلث يقابله جيش الحر في الغاضريات وجيش ابن سعد في نينوى وكان الحر يرى مهمته المراقبة على مسير الحسين «ع» فقط غير مهتم في اخضاعه ولا في اقناعه ولا في ارجاعه حتى وافاه ابن سعد مهتما في اقناعه واخضاعه فصار هو والحسين «ع» يتبادلان الرأي والرسل ابتغاء الوصول الى حل مرضي . وكاف ابن سعد من بين حاشيته رجالاً لمواجهة الامام فابوا معتذرين انهم ممن كتبوا اليه يدعونه فهم يتساءلون ؟ فارسل ابن سعد الى ابن الرسول (ص) رسوله الحنظلي فجاء الى الامام وسأله على لسان اميره عن موقفه ومسيره فأجابه الحسين «ع» (قد كتب الي اهل مصركم يدعونني اليهم اما اذا كرهتم ذلك فانا انصرف عنكم) قال حبيب بن مظاهر للرسول وهو من اخواله ويحك ياقرة ابن ترجع ؟ الى القوم الظالمين ؟ انصر هذا الرجل الذي بآبائه ايدك الله بالكرامة فقال له الحنظلي ارجع الى صاحبي بجواب رسالته وارى رأيي ثم انصرف الى عمر بن سعد واخبره الخبر فقال عمر ارجو ان يعافيني الله

من حربه وقتاله ثم كتب الى ابن زياد ماجرى بينه وبين الحسين «ع» وان الامام مستعد للانصراف عن العراق وعن كل امل فيه قال حسان العبسي كنت عندابن زياد حينما جاءه هذا الكتاب وقرأه فقال :

الآن اذ علقت مخالبنا به * يرجو النجاة ولات حين مناص

ثم اجتمع الحسين (ع) بعمر بن سعد تحرياً منه للسلم واحتراماً للدماء فتناجيا طويلاً فكتب هذا الى ابن زياد : اما بعد : فان الله قد اطفى النائرة وجمع الكلمة واصلح امر الامة هذا حسين قد اعطاني عهداً ان يرجع الى المكان الذي اتى منه او يسير الى ثغر من الثغور فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم وعليه ماعليهم الخ .

ولما تلاه ابن زياد قال هذا كتاب ناصح مشفق على قومه (يعني على قريش) فقام اليه شمر بن ذي الجوشن قائلاً : (أتقبل هذا منه وقد نزل بارضك والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده في يدك ليكونن اولى بالقوة ولتكونن اولى بالضعف والعجز فلا تعطه هذه المنزلة فانها من الوهن ولكن لينزل على حكمك هو واصحابه فان عاقبت فانت اولى بالعقوبة وان عفوت كان ذلك لك) .

فلما رأى ابن زياد في شمر غلواً في عداء الحسين (ع) وشوقاً الى حربه قال له نعم مارأيت والرأي رأيك اخرج بكتابي الى ابن سعد فان اطاعني فاطعه والا فانت امير الجيش واضرب عنقه

وكتب الى عمر كتاباً يقول فيه اني لم ابعثك الى الحسين شفيعاً ولا لتمنيه السلامة ولا لتعتذر عنه فان نزل هو واصحابه على حكمي فابعث بهم الي والا فازحف عليهم واقتلهم ومثل بهم فانهم بذلك مستحقون وان قتلت حسيناً فاوطئ الخيل صدره وظهره فانه عاق ظلوم ولست ارى ان هذا يضر بعد الموت شيئاً ولكن على قول قد قلته الخ .

جاء شمر بكتابه الى ابن سعد (والرجل السوء يأتي بالخبر السوء) فلما قرأ ابن سعد كتاب اميره وتلقى أسوأ التعاليم من نذيره تغير وجهه وقال (لعنك الله ياشمر لقد افسدت علينا امراً كنا نرجو اصلاحه) لكنما ابن سعد بعدما حسب شمراً رقيباً عليه ومهدداً له تجاهر اذ ذاك بلزوم اخضاع حسين العلا فتبدلت منه لهجته وفكرته وهيئته فانتقل بجنوده الى مقربة من الحسين (ع) وثلث جباه الحرب فصار هو في القلب بين الحير والنهر لصد الحسين (ع) من عبور النهر ومن الورود منه فاذا وجد الحسين «ع» سبل سيره مقطوعة ومشارع وروده ممنوعة اضطر الى النزال معهم او النزول عَلَى حكمهم وهم واثقون من الغلبة عليه في الحالين معاً .

ولما رأى الامام ذلك علم انه مقتول لامحالة اذ هو نازل بالعراء في منطقة جرداء لاماء فيها ولا كلاء فان انتظر قدوم الانصار هلكت صبيتهم وماشيتهم من الجوع والعطش وان خضع للقوم

وبايع امية فقد باع الامة والشريعة بعدما انعقدت فيه الآمال وان بدأ بحربهم خالف خطته الدفاعية حين لاأمل فى الانتصار عليهم فى ظاهر الحال والحر ان لم يستطع ان يعيش عزيزا فاحرى به ان يموت كريما .

* * *

(٣١)

الحسين مستميت ومستميت من معه

فى مكارم الاخلاق تتلألأ خلة التضحية تلألأ القمر البازغ بين النجوم الزواهر فاذا شوهد فى امرء شعور التضحية اكتفى الناس بها عن اي مكرمة فيه او أية مأثرة له ولا عجب فان الصدق اذا عد اصل الفضائل فان شعور التضحية هو من اجلّ مظاهر الصدق والمستميت يبيت مع نفسه كل شبهة وشائبة من سمعة او رياء او مكر او دهاء : إذن فشعور شريف كهذا ينجم فى تربة الصدق ويسقى بماء الاخلاص لابد وان يثمر لاهل الحق بالخير الخالد . واذا كان الموت ضربة لازب لامهرب منه ولا محيد عنه فلنشتر بهــــذا العمر القصير نفعاً عاماً وخيراً خالداً : هيهي والله

الصفقة الرابحـــة وتجارة لن تبور : نخير الموت الفداء وافضل الاضاحي من امات هيكله البائد لاحياء نفع خالد . كذلك الشهداء في سبيل اصلاح الامة او تحريرها من اسر الظالمين . وسيد هؤلاء الشهداء الحسين بن علي «ع» الذي احيي (هو والذين معه) مجد هاشم ودين محمد «ص» ومعارف القرآن وشعائر الاسلام واخلاق العرب في وثباتهم وثباتهم ضد سلطة الجور والفجور فلم تختلف لهجته ولا تخلفت سيرته ولا وهنت عزيمته ولا ضعفت حركته ولا ضيع مصالح اعوانه لترضية عدوانه : ونفس قوية وابية مثل هذه اضحت كالمغناطيس جذابة اليها امثالها ومن على شاكلتها في الاخلاص والتضحية « وشبه الشيء مجـذوب اليه » فالتف حول حسين المجد من صحبه وآله من يجرون على منواله بتضحية النفس والنفيس في سبيل الدين وصالح الامـة حتى انه يوم احس بالصد والحصار بكربلاء وانه مقتول لامحالة عز عليه ان يقتل بسببه غيره فأذن لاهله وصحبه بالتفرق عنه حيث ان القوم لايريدون غيره ليدرء عنهم الموت بحل بيعته عن ذممهم فخطب فيهم قائلاً : اثني على الله احسن الثناء واحمده على السراء والضراء اللهم اني احمدك على ان اكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين وجعلت لنا اسماعاً وابصاراً وافئدة فاجعلنا من الشاكرين . اما بعد : فاني لا اعلم

اصحاباً اوفى ولا خيراً من اصحابي ولا اهل بيت ابر ولا اوصل من اهل بيتي فجزا كم الله عني خيراً . الا واني قد اذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم حرج مني ولا ذمام . هذا الليل من بيعتى قد غشيكم فاتخذوه جملا) الخ .

فقال له اخوانه وابناؤه وبنو اخيه وابناء عبدالله بن جعفر لمَ نفعل ذلك ؟ لنبقى بعدك ؟ لا ارانا الله ذلك ابداً فقال الحسين (ع) يابني عقيل حسبكم من القتل بمسلم فاذهبوا انتم فقد أذنت لكم قالوا سبحان الله فما يقولون لنا انا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الاعمام ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن معهم برمح ولم نضرب معهم بسيف ولا ندري ماصنعوا لا والله لانفعل ولكن نفديك بانفسنا واموالنا واهلينا ونقاتل معك حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك .

وقام اليه مسلم بن عوسجة فقال انحن نخلي عنك وبما نعتذر الى الله في اداء حقك لا والله حتى اطعن في صدورهم برمحي واضربهم بسيفي ماثبت قائمه في يدي ولو لم يكن معي سلاح اقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة والله لانخليك حتى يعلم الله انا قد حفظنا غيبة رسوله فيك . اما والله لو قد علمت اني اقتل ثم احيي ثم احرق ثم احيي ثم اذرى يفعل ذلك بي سبعين مرة مافارقتك حتى القى حمامي

دونك وكيف لا افعل ذلك وانما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا نفاد لها ابدا .

وقام زهير بن القين فقال والله لوددت اني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى اقتل هكذا الف مرة وان الله عز وجل يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن انفس هؤلاء الفتيان من اهل بيتك . وتكلم جماعة اصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجه واحد فجزاهم الحسين خيرا .

ورووا ان رجلاً جاء حتى دخل عسكر الحسين «ع» فجاء الى رجل من اصحابه فقال له ان خبر ابنك فلان وافى ان الديلم اسروه فتنصرف معي حتى نسعى فى فدائه فقال حتى اصنع ماذا ؟ عند الله احتسبه ونفسي فقال له الحسين «ع» انصرف وانت فى حل من بيعتي وانا اعطيك فــداء ابنك فقال هيهات ان افارقك ثم اسأل الركبان عن خبرك لا يكن والله هذا ابداً ولا افارقك .

* * *

(٣٢)
رسل السلام ونذير الحرب

قدم الى كربلاء شمر الخارجي شر مقدم اذ كان نذير الحرب

وحاملاً من ابن زياد الى ابن سعد أسوء التعاليم القاسية وحسبه ابن سعد رقيباً عليه ومهدداً له فانقلبت فكرته اذ ذاك رأساً على عقب لكي يدرأ عن نفسه تهمة الموالاة للحسين «ع» طمعاً بامرة الري فنقل معسكره الى مقربة من الحسين (ع) على ضفاف العلقمي واوصد عليه باب الورد منه بمصراعيه وعهد بحراسة المشرعة الى عمرو بن الحجاج كما فعله معاوية بجيش امير المؤمنين (ع) في صفين واخذ يتظاهر على الحسين (ع) تقرباً الى ابن زياد ويتشبه بغلاة الخوارج ارضاء لمن معـــه منهم ولم يقنع بكل ماوقع حتى زحف بخاصته على الحسين (ع) وتنـاول من دريد سهماً ووضعه في كبد قوسه ورمى به الى معسكر الحسين (ع) قائلا : (اشهدوا لي عند الامير اني اول من رمى الحسين) ورأى المتزلفون هـــذه اسهل وسيلة الى نيل القربى من اولياء السلطة فتكاثرت السهام على معسكر الحسين (ع) فقال حسين المجد لاصحابه (قوموا ياكرام فهذه رسل القوم اليكم) يعني ان الخصوم بدءونا بالنضال والنزال بدل النزول على حكم الكتاب والسنة ولا يسعنا في هذه الحال سوى استمهالهم الى حين. حين تهدأ فورتهم وان ابوا امهالنا فلابد من الدفاع عن مقدساتنا والذب عن النواميس والحرمات اسوة بالكرام عند اليأس من السلام .

(٣٣)

حول معسكر الحسين «ع»

بعدما ايقن الحسين (ع) ان اعداءه لايتناهون عن منكر في سبيل النكال والنكاية به استعد لدفاع الطوارئ عن اهله ورحله وانتظار قتله لكنما وجد معسكره في اجرد البقاع عن مزايا الدفاع وكان مع العدو رجالة سوء من اسقاط الكوفة تبعوا شمراً الضبابي لطمعهم في الجوائز المشاعة وجشعهم على بقايا موائد الرؤساء وشوقاً الى غنيمة باردة ولا سلاح لدى هؤلاء سوى الحجارة والجسارة فكان يخشى منهم على معسكر الحسين (ع) من كل الوجوه سيما وان هؤلاء الاذناب لايلتزمون بما تلتزم به رؤساء القبائل من آداب العرب فخرج الحسين « ع » من معسكره يتخير موضعاً مناسباً للدفاع .

وبعدما سبر غور الوهاد والانجاد اشرف على سلسلة هضاب وروابي تليق حسب مزاياها الطبيعية ان تتخذ للحرم والخيم وهذه الروابي والتلال متدانية على شاكلة الهلال وهو المسمى « الحير » او « الحائر » لكن هذا الحصن انما يفيد من استغنى عن الخروج لطلب ماء او ذخيرة او عتاد واما من لايجد القدر الكافي منها كالحسين (ع) فان تحصن في مثل الموضع فكأنه يبغي الانتحار او

القاء اهله في التهلكة لان عدوه يتمكن من حصاره من فرجة الجهة الشرقية بكمية قليلة واهلاك المحصور جوعاً وعطشاً في زمن قصير .

لكن الحسين (ع) رأى بجنب هذه وجنوبها راية مستطيلة اصلح من اختها للتحصن لابن الحتى بفنائها يكتنفه من الشمال والغرب ربوات تقي من عاديات العدو برماة قليلين من صحب الحسين «ع» اذا اختبأوا في الروابي وتبقى من سمتي الشرق والجنوب جوانب واسعة تحميها اصحاب الحسين «ع» ورجاله ومنها يخرجون الى لقاء العدو او تلقى الركبان فنقل الى هذا الموضع حرمه ومعسكره ويعرف الآن (بخيمكاه) اي المخيم فصارت محوطة الحير خير فاصلة بينهم وبين معسكر الاعداء وامر اصحابه ان يقربوا البيوت بعضها من بعض ويدخلوا الاطناب بعضها في بعض وان يضرموا النار في قصب وحطب كانا من وراء الخيم في خندق حفروه من شدة الاحتياط واوجد في مخيمه مزايا الدفاع الممكنة وهو ينتظر الفرج كلما ضاق المخرج .

* * *

(٣٤)

عطاشى الحرب في الشريعة

لا يبرح البشر من احترام بعض الآداب في المحاربات مهما

كان المحاربون وحوشاً وكفرة كاجتنابهم قتل النساء والابرياء ومنع الماء والطعام عنهما واصبحت حكومات اليوم تراعي هــذه الاصول بعين الاحترام وتعد ارتكاب هذه المظالم من اقبح الجرائم وقــد نهى شرع الاسلام كبقية الشرائع السماوية حصار الابرياء والتعرض بالنساء ومنع الماء والطعام عنهما او عن المرضى والاسرى والاطفال لانهم برءآء ممــا قامت به رجالهم المحاربون وقد منعت الشريعة والعاطفة ذبح الحيوان عطشانا .

اما الحزب السفياني فقد ارتكب كل هــذه المظالم والجرائم حنقاً على حسين الفضيلة وآله .

ولا ننسى ماحدث يوم الدار يوم ثار المهاجرون والانصــار فحاصروا الخليفة عثمان بن عفان وطالبوه ان يسلم اليهم ابن عمه (مروان) فاستغاث بعلي «ع» وشكا اليه العطش (وعلي يومئــذ ملتزم الحياد التام) فارسل اليه مع ذلك ولديه الحسن والحسين (ع) يحملان له الماء وهو محصور ويحاميان عنه وعن بيته الجمهور وتحملا في سبيله الجروح والجرايح غير ان محمد بن ابي بكر (ض) تسور هو ومن معه من وراء البيت وكان منهم ما كان .

اما معاوية الدهاء فقد شيع الامر في اهل الشام بالعكس مما كان بغرض بعثهم الى حرب امير المؤمنين فنشر بينهم ان عثماناً

قتل عطشاناً وان علياً منع الماء عنه لذلك سبق علياً في صفين الى استملاك المشرعة ومنع اهل العراق من وردها : اما علي «ع» فارسل من ابطال العراق من فتحوها ثم تركها مباحة للجانبين فابت نفسه الكريمة ان يقابلهم بالسوء وقال (كلا لست امنع عنهم ماءً احله الله عليهم) فجدد ابن زياد هذه البدعة وامر بمنع المـاء عن الحسين (ع) ومن معه وروج اكذوبته فكتب الى ابن سعد : (حل بين الحسين واصحابه وبين الماء فلا يذوقوا منه قطرة كما فعل بالتقي الزكي عثمان) الخ . مع ان الحسين (ع) هو الذي حمل الماء الى عثمان يوم الدار وعانى في سبيله المشاق وحاشا حسين الفضيلة وعلي الفتوة ان يرتكبا منع الماء على ذي نفس . ولو فرض الامر كذلك فهل تؤخذ عشرات النساء ولفيف من الصبية والاطفال والمرضى بذلك فيحرمون من الماء المباح ؟ كلا ! فالاسلامية بريئة والانسانية ناقة من هذه المظلمة الفاحشة .

ترك ابن ساقي الكوثر ممنوعاً من المـاء المباح ثلاثة ايام هو وصحبه وآله وعشرات من نسوة وصبية يعانون هم وخيلهم العطش في شهر آب اللهاب بعراء لا ماء فيه ولا كلاء والخيل تصهل طالبة الماء والنسوة تعج لحاجتها الى الماء والصبية تضج وتنتظر المـــاء والرضيع يصرخ اذ جفت مراضعه والماء يلمع جارياً باعينهم والمانعون

ينتحلون الاسلام وكل هاتيك المظالم القاسية من اجل ان الحسين «ع»
لم يضع يده في ايدي الظالمين يبايعهم على محو كتاب الله وسنة نبيه «ص»
وقد كان لسان الحال من حسين العلا يقول ان في وسعكم
= ايها الاعداء = ان تضيقوا علي الفضاء الوسيع وليس في وسعكم
ان تضيقوا حدود مبدئي العالي ومقصدي العام وكذا في وسعكم
ان تقضوا على حياتي وعلى صحبي وعلى صبيتي ولكن ليس في وسعكم
قط ان تقضوا على قضيتي ولا على دعوتي ولا على فكرتي مادمت
حياً ومادام المسلمون احياء .

* * *

(٣٥)

اهتمام الامام بالموعظة والنصيحة

سيرة الحسين «ع» سلسلة ادلة على قوة حسن ظنه بالناس
وان نفسه كانت مفعمة بآمال الخير فيهم . ولاغرو فان قوة آمال
الناهضين تقاس بقوة اعتقادهم بحقهم والحسين «ع» كان رمز
الايمان وآية الحق ويرى حقه كما يرى الشمس في رابعة النهار فحري
بان يكون على الدوام متفألاً وبشيراً وهو يرى اكثر الناس نحو
ماير[ى] نفسه مستعدين لعبادة الحق اذا صادفوا الدليل فكان

الحسين «ع» يعامل اعداءه معاملة من يحترمون الحق بينما هم غافلون عنه فكان يبذل قصارى الجهد في تنوير افكارهم بالاحتجاجات واقامة المظاهرات ويستفرغ وسعه في انذارهم واخطارهم بالرسل والخطب في حين ان جمهور خصومه كانوا من سفلة البشر وعبدة الطاغوت اولئك الذين لايقيمون للحق وزناً ولا يرون لغير المال والقوة شأناً وعليه قام حسين الايمان بمظاهرة باهرة بعد اليأس من سماح القوم له بالرجوع فلبس عمامة رسول الله (ص) ورداءه وتقلد بسيف جده النبي وركب ناقته او فرسه المعروفة وخرج الى العدو بهيئة جده النبي «ص» وزيه وقد كان هو في ملامحه شبيه جده وكانت هذه الهيئة وحدها كافية لاظهار اولويته بخلافة جده من طاغية الشام لوكانوا يعقلون فعرف شياطين القوم ان هذه المظاهرة تعود على الحسين «ع» بفائدة سيما لو وجد مجالاً للكلام وذكر السامعين بآيات من وحي جده فولولوا بلغط وضجيج ليضيعوا على السامعين كلام الله من فم ولي الله بهيئة نبي الله وهو ابن بنت رسول الله «ص». غير ان حسين المجد لم يضيع فرصته فاستنصتهم فابوا ان ينصتوا له لجاجاً وعناداً فنادى فيهم: ايها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى اعظكم بواحدة وحتى اعتذر اليكم فان اعطيتموني النصف كنتم بذلك سعداء والا فاجمعوا رأيكم ثم لايكن

امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين .

فلما ساد الصمت وهدأ الضجيج خطبهم فحمد الله واثنى عليه ونعت النبي فصلى عليه فلم يسمع ابلغ منطقاً منـــــــه ثم قال : اما بعد : فانسبوني من انا ثم راجعوا انفسكم وعاتبوها فانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ؟ ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه واول المؤمنين المصدق لرسول الله (ص) وبما جاء من عند ربه ؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عمي ؟ أوليس جعفر الطيار في الجنة بجناحين عمي ؟ أولم يبلغكم ماقال رسول الله « ص » لي ولاخي (هذان سيدا شباب اهل الجنة) فان صدقتموني فيما اقول وهو الحق والله ماتعمدت الكذب منذ علمت ان الله يمقت اهله . وان كذبتموني فان فيكم من ان سألتموه عن ذلك اخبركم . سلوا جابر الانصاري وابا سعيد الخدري وسهل الساعدي وزيد بن ارقم وانس ابن مالك يخبروكم انهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله «ص» اما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي ؟ ـ الى ان قال ـ فان كنتم في شك من ذلك أو تشكون في اني ابن بنت نبيكم فوالله لا يوجد بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري . ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته او مال لكم استهلكته ؟ ثم نادى يا شبث بن الربعي

ويا حجار بن ابجر ويا قيس بن الاشعث ويا يزيد بن الحارث ويا عمرو ابن الحجاج ألم تكتبوا الي ان (قد اينعت الثمار واخضرت الجنات وانما تقدم على جند لك مجند)

لقد اسمعهم شبل علي «ع» خطاباً قويم اللهجة قوي الحجة لو كان ثمة منصف. لكنما القوم لم يقابلوه الا بكلمة (انا لاندري ماتقول !! انزل على حكم بني عمك والا فلسنا تاركيك).

كلمة مرة طليت بالقحة وتبطنت بالعجرفة والانحراف نحو الزور والغرور فاجابهم حسين العلا (لا والله لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا اقر لكم اقرار العبيد يأبى الله ذلك لنا ورسوله «ص» وحجور طابت وطهرت فلا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام.

لكنما المظاهرة باحتجاجه لم تذهب سدى وعبثاً فما مد الظلام رواقه حتى انجذب الى الحسين «ع» عديد من فرسان ابن سعد من ذوي المروءة والفتوة تائبين تائبين عند المخيم الحسيني.

* * *

(٣٦)
الحسين «ع» ينعى نفسه لاخته

لزينب (اخت الحسين «ع» وزوجة ابن عمها عبدالله بن

جعفر الطيار) شأن مهم ودور كبير النطاق فى قضية الحسين «ع»
وفى نساء العرب نوادر امثالها ممن قمن فى مساعدة الرجال وساركنهم
فى تاريخهم المجيد وقد صحبت زينب اخاها فى سفره الخطير صحبة
من تقصد ان تشاطره في خدمة الدين وترويج امره فكانت تدير
بيمناها ضيافة الرجال وباليسرى حوائج الاطفال وذلك بنشاط
لايوصف والمرأة قد تقوم باعمال يعجز عنها الرجل ولكن مادام
منها القلب في ارتياح ونشاط . اما لو تصدع قلبها او جرحت
منها العواطف فتراها زجاجة اوارق وكسرها لايجبر . ولذلك
اوصى بهن النبي « ص » اذ قال (رفقاً بالقوارير) . فجعلهن كزجاج
القوارير تحتاج الى لطف المداراة .

فكانت ابنة علي ع) قائمة بمهات رحل الحسين (ع) واهله
غير مبالية بما هنالك من ضائقة عدو او حصار او عطاش اذ كانت
تنظر في وجه الحسين «ع» تراه هشاً بشاً فتزداد به املاً . وكلما
ازداد الانسان املاً ازداد نشاطاً وعملاً وان في بشاشة وجه الرئيس
اثراً كبيراً فى قوة آمال الاتباع ونشاط اعصابهم غير ان زينبا
باغتت اخاها الحسين «ع» فى خبائه ليلة مقتله فوجدته يصقل
سيفاً له ويقول :

يا دهر اف لك من خليل * كم لك بالاشراق والاصيل

من صاحب وطالب قتيل ٭ والامر في ذاك الى الجليل الخ

والمعنى يا دهر كم لك من صاحب قتيل في ممر الاشراق والاصيل فاف لك من خليل .

ذعرت زينب عند تمثل اخيها بهذه الابيات وعرفت ان اخاها قد يئس من الحياة ومن الصلح مع الاعداء وانه قتيل لامحالة واذا قتل فمن يكون لها ؟ والعيال والصبية في عراء وغربة وألدالاعداء محيط بهم ومتربص لهم الدوائر : لهذه ولتلك صرخت اخت الحسين (ع) نادبة اخاها وتمثل لديها مايجري عليها وعلى اهله ورحله بعد قتله وقالت : (اليوم مات جدي وابي وامي واخي) . ثم خرت مغشية عليها اذ غابت عن نفسها ولم تعد تملك اختيارها فاخذ اخوها الحسين (ع) رأسها فى حجره يرش على وجهها من مدامعه حتى افاقت وسعد بصرها بنظرة من شقيقها واخذ يسليها (وبعض التسلية تورية) فقال : (يا اختاه ان اهل الارض يموتون واهل السماء لا يبقون فلا يبقى الا وجهه وقد مات جدي وابي وامي واخي وهم خير مني فلا يذهبن بحلمك الشيطان ، ولم يزل بها حتى اسكن روحه روعها ونشف بتلك حده دمعها ولكن في المقام سر مكتوم . فان زينب تلك التي لم تستطع ان تسمع اشارة من نعي اخيها وهو حي كيف تجلدت في مذبح اخيها واهلها بمشهد منها ورأت

رأسه ورؤوسهم مرفوعة على القنا وتلعب بها صبيان كالا كر وينكت ابن زياد ويزيد ثنايا اخيها بين الملأ بالقضيب الى غير ذلك من مصائب لاتطيق رؤيتها الاجانب فضلاً عن امس الاقارب . فليت شعري ما الذي حول ذلك القلب الرقيق الى قلب اصلد واصلب من الصخر الاصم ؟ نعم كانت شقيقة الحسين (ع) اخته بتمام معاني الكلمة فلا غرو ان شاطرت سيدة الطف زينب اخاها الحسين (ع) في الكوارث وآلام الحوادث فقد شاطرته في شرف الابوين ومواريث الوالدين خلقاً وخلقاً ومنطقاً . وعليه فانهـــا على رقة عواطفها وسرعة تأثرها تمكنت من تبديل حالتها والاستيلاء على نفسها بنفسها من حين ما اوحى اليها الحسين (ع) باسرار نهضته وآثار حركته وانه لابد ان يحمل اعباء الشهادة ومايتبعها من مصائب ومصاعب في سبيل نصرة الملة واحياء شريعة جده وشعائر مجده . لكنه سيار يطوى السرى الى حد مصرعه في كربلاء . ثم لابد وان تنوب هي عن اخيها في تحمل المشاق ومكابدة الآلام من كربلا الى الشام قائمــة بوظائفه المهمة . محافظة على اسرار نهضته . ناشرة لدعوته وحجته في كل ابن وآن . منتهزة لسوانح الفرص وهو معها انما كانت ياديها لكنه على عوالي الرماح خطيباً بلسان الحال كما هي الخطيبة بلسان المقال .

(٣٧)
السباق الى الجنة

التسابق الى النفع غريزة في الاحياء لايحيدون عنها ولا يلامون عليها . وقد يؤول الى النزاع بين الاشخاص والانواع ولكن التسابق الى الموت لا يرى في العقلاء الا لغايات شريفة تبلغ في معتقدهم من الاهمية مبلغاً قصياً اسمى من الحياة الحاضرة . كما اذا اعتقد الانسان في تسابقه الى الموت نيل سعادات ولذات هي ارقى وابقى من جميع مالنا في الحياة الحاضرة . ولهذه نظائر في تواريخ الغزاة والمجاهدين فان في صحابة النبي «ص» رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه وتسابقوا الى القتال بين يديه معتقدين ان ليس بينهم وبين جنان الخلد والفردوس الاعلى سوى ساعات اوتميرات يأكلونها او حملات يحملونها . وهذا من اشرف السباق وموته اهنأ موت وشعاره اقوى دليل على الفضيلة والايمان . ولم يعهد التاريخ لجماعة بداراً نحو الموت وسباقاً الى الجنة والاسنة مثل ماعهدناه في صحب الحسين «ع» . وقد عجم الحسين (ع) عودهم واختبر حدودهم وكسب منهم الثقة البليغة واسفرت امتحاناته كلها عن فوزه بصحب اصفياء واخوان صدق عند اللقاء قل ما فاز او يفوز بامثالهم ناهض . فلا نجد ادنى مبالغة في وصفه لهما عندما قال « اما بعد فاني لا اعلم

اصحاباً خيراً من اصحابي ولا اهل بيت ابر واوفى من اهل بيتي » .
وكان الفضل الاكبر في هـذا الانتقاء يعود الى حسن انتخاب الحسين (ع) وقيامه بكل وجائب الزعامة والامامة . وقيام الرئيس بالواجب يقود المرؤوسين الى اداء الوجائب . واعتصام الزعيم بمبدإه القويم يسوق الاتباع بالطبع الى شدة التمسك بالمبدإ والمسلك والغاية . فكان سرادق الحسين «ع» بما فيه من صحب وآل ونساء واطفال كالماء الواحد لا يفترق بعضه عن بعض فكان كل منهم مرآة سيده الحسين «ع» بحاله وفعاله واقواله وكانوا يفتدونه بانفسهم كما كان يتمنى القتل لنفسه قبلهم ودونهم واخيراً توفقوا الى ارضاء سيدهم بان يتقدموا الى جهاد ادبي في زي دفاع حربي واحداً بعد واحد فيعلنوا بالمبادئ العلوية وينشروا الدعوة الحسينية ارشاداً للجاهلين وعظة للجاحدين وايقاظاً للغافلين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل حتى لو اثرت عظاتهم المتواترة كفى الله المؤمنين القتال وان قتلوا فسبيلهم سبيل من قبلهم من الانبياء والمصلحين الى روح وريحان وجنة ورضوان فيستريحون من آلام الحياة الدنيا الفانية ويسعدون بحياة راقية باقية فاذا كانت هذه الدنيا غير باقية لحي ولا حي عليها بباق فالاحرى ان يكون الهيكل الفاني قربان خير خالد ومهراً لحياة الامة . اجل كانت جماعة الحسين (ع)

كؤس رؤسها مفعمة بشعور التضحية حتى اذا اذن لهم بذلك لبسوا القلوب على الدروع واقبلوا يتهافتون كالفراش على المصباح لتضحية الارواح فكلما اذن حجة الله لاحدهم وادعه وداع من لايعود وهم يتطايرون من مخيمه الى خصومه تطاير السهام لانفاذ الغرض المقدس باراجيز بليغة وحجج بالغة من شأنها ازاحة الشبهات عن البعيد والقريب وعن الشاهد والغائب لكن المستمعين صم بكم عمي فهم لايعقلون قد غشيت الاطماع ابصارهم وغشت المخاوف بصائرهم فلايفكرون بسوى دنانير ابن زياد وعصاه ومن لايهتم الا بالسيف والرغيف فلا نصح يفيده ولا دليل يجيده .

بلى انما تجدي العظات فى ظل المطامع والحجة تهدي تحت بارقة السلاح . لذلك لم يجد رسل الحسين (ع) من عداهم الجواب الا على ألسنة الاسنة والحراب وقتلوا تقتيلا (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون) احياء بارواحهم احياء بتاريخهم المجيد ولهم لسان صدق فى الآخرين واسوة بالاولين

* * *

(٣٨)

مقتل علي شبه النبي (ص)

لم يزل ولا يزال عرفاء الامم من عرب وعجم يعتقدون توارث السجايا والمزايا بالتناسل والتناسب وان الولد يرث من ابويه ووالديهما مواهبهم العقلية او سجاياهم الاخلاقية كما يرثهم اشكال الخلقة وطبائع الجسم وامراض الاعضاء وقد اكد الفن والحديث ذلك وان التشابه في الخلقة لا ينفك عن التشابه الاخلاقي فنجـــد العائلة بعد فقدان اكبرها تجمع توجهاتها في اشبه افرادها بالفقيد توسماً بقيام الشبيه مقـــام الفقيد في اعادة آثاره وادواره لاجماع الغرائز على ان الاعمال نتائج الاخلاق وان الطفل الشبيه بآبائه خلقاً وخلقاً يغلب ان يجدد مآثرهم ومفاخرهم . وكان آل محمد (ص) في اسف مستمر على فقدان النبي (ص) وخسارة كل مجد في فقده حتى ولد للحسين بن علي «ع» ولد اشبه الناس بجده محمد « ص » خلقاً وخلقاً ومنطقاً فتمركزت فيه كل آمالهم وامانيهم وصاروا كلما استاقوا الى زيارة النبي « ص » شهدوا حضره وشاهدوا منظره وسمي شبيه النبي فترعرع الصبي وترعرع معه جمال النبي «ص» ونما فيه [illegible] وازهرت حوله الآمال، [illegible] تصابي آل النبي « ص » فيه مبلغ الول والعشق . فكان اذا تلا آية او روى رواية مثل رسول

الله «ص» في كلامه ومقامه واضاف على شبه النبي «ص» في الجسم شبهاً بجده علي «ع» في الاسم كما شابهه في الشجاعة وفي تعصبه للحق حتى انه يوم قال الحسين (ع) اثناء مسيره (كأني بفارس قد خطر علينا قائلاً: القوم يسيرون والمنايا تسير بهم) اتاه قائلاً: (يا أبت أولسنا على الحق؟) فقال له الحسين (ع) (اي والذي اليه مرجع العباد) قال علي هذا (اذن لا نبالي بالموت) فكان في موكب الحسين «ع» مثل كوكب الفجر يزهو بجماله وانظار اهله دائرة حوله. غير ان الحصار والحزن ضيقا على نفسه مجرى النفس فلم يجد مظنة للخلاص منهما الا في الموت فجاء ليستأذن اباه لكنه منكسر الطرف اذ يعلم مبلغ تأثر الوالد من هذا الكلام. وقد شوهد سيد الطف في اقواله واحواله على جانب عظيم من التجلد لكن قيام هذا الفتى ضيع جانباً من تجلده فصار كغيره لا يملك من التجلد شيئاً فيما يقول في ولده او عن ولده: وايم الله انه أذن له، لكن يريد ان لا يجرح عاطفة فتاه. فاسرع علي نحو الاعداء وعين ابيه تشيعه وترسل دموعها الحارة مصحوبة بالزفرات والنساء على اثره تولول وتعول امه بشجو فاقدة الاصطبار اذ فقدت مركز آمالها والامام ينادي باعلى صوته: (يا ابن سعد قطع الله رحمك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله).

اما الغلام فقد تجلى على القوم بوجه رسول الله « ص » وعمامة رسول الله « ص » واسلحة رسول الله « ص » على فرس رسول الله « ص » ونطق بمنطق رسول الله « ص » قائلاً :

انا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله اولى بالنبي
والله لايحكم فينا ابن الدعي

اي انا المثل الاعلى لرسول الله « ص » فيكم بصورتي وسيرتي وحسبي ونسبي فانا تذكار جدي علي « ع » وانا شبيه النبي « ص » وان ابي الحسين « ع » سبط النبي « ص » وان جدي علياً اخو النبي « ص » ووصيه فنحن جميعاً اولو قرباه واهل بيته الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . فاولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله فنحن اولى بخلافة جدنا النبي « ص » من الاجنبي . وبعد هذا البرهان الجلي لايسوغ ان نسلم ازمة دين جدنا النبي « ص » الى ابن الدعي والدعي هو المنسوب الى غير ابيه الشرعي وقد كان عبيدالله بن مرجانة مستلحقاً بزياد كما ان زياداً صار مستلحقاً بابي سفيان بخلاف حكم النبي « ص » القائل : (الولد للفراش وللعاهر الحجر) . فهل يسوغ في شرع الشرف ودين العدل ان نخضع من يمثل النبي ص لدعي وابن دعي ؟

بارز الغلام جيش الكوفة وشد عليهم شدة الليث بالاغنام

وكلما كر عليهم رجع الى ابيه قائلا : (العطش قد قتلني) فيقول له ابوه : (اصبر ياحبيبي فانك لا تمسي حتى يسقيك رسول الله بكأسه) . والغلام يكر الكرة بعد الكرة فنظر اليه ابن مرة العبدي فقال : (علي آثام العرب ان كر ومر بي لو لم اثكل امه) . فبينا هو يشد على الجموع ويرتجز اذ ضربه العبدي وصرعه فنادى (يا ابتاه عليك مني السلام هذا جدي قد سقاني بكأسه الاوفى وهو يقرئك السلام ويقول لك العجل العجل) . ثم شهق شهقة كانت فيها نفسه . فانقض اليه الحسين « ع » قائلا : يابني قتل الله قوماً قتلوك ما اجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول يابني على الدنيا بعدك العفا) . ثم قال لفتيانه (احملوا اخاكم الى المخيم) . اذ كان اول قتيل من جيش الحسين «ع» وحاذر على النساء وعقائل الرسالة ان يخرجن الى مصرعه حاسرات « فانا لله وانا اليه راجعون » .

* * *

(٣٩)
توبة الحر وشهادته

من يدرس احوال البشر ... وجهتها النفسية ويسبر غورها يجد الاخيار صنفين . صنف يتطلب مصالحه الشخصية في ظل

احياء عقيدته واحترامها وهؤلاء اكثر الاخيار . ثم ارقى منه صنف يقدم احياء عقيدته حتى على حياته الشخصية . وقد كانت وضعية الحر الرياحي بادئ بدء تنزل منزلة من يحب الجمع بين احترام مصالحه الذاتية فى ضمن احترامه لعقيدته في الحسين بن فاطمة «ع» زعماً منه ان الحسين «ع» لابد وان سيصالح امية القوية او يسامحونه بغادرته بلادهم فيكون الحر حينئذ غير آثم بقتال الحسين «ع» وغير خاسر جوائز الولاة وترفيعاتهم . وعليه فقد كان يساير الحسين «ع» بالسماح والتساهل ويصاحبه بتأدب واحترام غير ان المظاهرات القاسية التي قام بها جيش الكوفة من جهة والمظاهرات الدينية الاخلاقية التي قام بها حسين الفضيلة من جهة اخرى انارتا فكرته واثارتا عاطفته فارتقى فى استكمال نفسه الى العلو او الغلو في حب السعادة والشهادة فجاء الى ابن سعد قائلا : (أمقاتل انت هذا الرجل ؟) فاجابه (نعم قتالاً ايسره ان تسقط الرؤس وتطيح الايدي) فقال الحر : افما لكم فيما عرضه عليكم رضى ؟ فاجابه : , اما لو كان الامر الي لفعلت ولكن اميرك قد ابى فرجع الحر وهو يتمايل ويرتعد ، اخذه مثل الافكل اذ شعر بانه كان السبب لحصر الإمام .

فقال له من يجاوره وهو يحاوره : ان امرك لمريب فوالله لو سئلت عن اشجع اهل العراق لما عدوتك فماذا اصابك يا بن يزيد ؟ فاجابه الحر :

(ويحك اني ارى نفسي بين الجنة والنار ووالله لا اختار على الجنة شيئاً وان قطعت وحرقت) . قال هذا وضرب بجواده الى الحسين «ع» .

وصادف قرة بن قيس فقال له : يا قرة هل سقيت فرسك ؟ قال قرة قلت له : لا . (وظننت انه يريد ان يتنحى القتال كراهة ان يشهده فوالله لو اطلعني على الذي يريد لخرجت معه الى الحسين) .

اخذ يدنو الحر من الحسين رويداً رويداً وكان ذلك منه خجلا لا وجلا حتى وقف قريبا منه فقال (جعلت فداك يا بن رسول الله انا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وجعجعت بك في هذا المكان وماظننت ان القوم يردون عليك ماعرضته عليهم ووالله لو علمت انهم ينتهون بك الى ما ارى ماركبت مثل الذي ركبت واني تائب الى الله مما صنعت فهل ترى لي من توبة ؟) فاجابه الحسين «ع» (نعم يتوب الله عليك فانزل) فقال الحر : (انا لك فارساً خير مني راجلا اقاتلهم لك على فرسي ساعة ويصير النزول آخر امري ' فقال له الحسين «ع» (فاصنع يرحمك الله مابدا لك) .

قابل الحر بعدئذ جيش ابن سعد وصاح بهم : ' يا اهل الكوفة لامكم الهبل . دعوتم هذا العبد الصالح لتنصروه حتى اذا جاءكم اسلمتموه وكتبتم اليه انكم قاتلوا انفسكم دونه ثم عدوتم عليه تقاتلونه

واسـتم بنفسه واخذتم بكظمه واحطتم به من كل جانب لتمنعوه التوجه فى بلاد الله العريضة فصار كالاسير فى ايديكم لا يملك لنفسـه نفعا ولا يدفع عنها ضرا . وحلأتموه ونساءه وصبيته عن ماء الفرات الجـارى . تشربه اليهود والنصارى والمجوس وتمرغ فيـه خنازير السـواد وكلابه . فها هم قد صرعهم العطش . بئس ماخلفتم محمداً في ذريتـه لا سقاكم الله يوم الظمأ) . فساد القوم سكوت كأن على رؤوسهم الطير ثم لم يجيبوه بسوى النبال . فحمل عليهم وهو يرتجز ويقول :

اني انا الحر ومأوى الضيف اضربكم ولا ارى من حيف

وقاتلهم قتالاً شديداً حتى عقروا فرسه وتكاثروا عليه فلم يزل يحاربهم وهو راجل حتى اثخنوه بالجراح وصرعوه فنادى: (السـلام عليك يا إبا عبدالله) وقد أبنـه الامام (ع) بقوله : (انت كما سمتك امك حر في الدنيا وسعيد فى الآخرة) . فطوبى له وحسن مآب

* * *

(٤٠)

اصدق المظاهر الدينية

ليس فى التعبير عن الحسين «ع» بآية الحق او رمز السلام

او نحوهما مبالغة ما ، اذ كان (والحق يقال) مثال الحق والاسلام في كل احواله واقواله واعماله فلم تكن المرآة المواجهة للشمس اصدق حكاية عنها من الامام «ع» عن الاسلام ولا بدع فان الناهض حقاً بحقيقة يجب ان يمثلها بكل اطواره في كل ادواره والحسين ابن علي «ع» غـــدا في نهضته امثولة الحق الصراح وحا كياً عنه حكاية الزجاجة عن المصباح فاظهر الحقيقة في كتبه وخطبه واقواله واحواله فقدم خطورة الدين على خطورة السكن والوطن وقدم حرمة حرم الله وحرم رسوله ص على حرمة نفسه وحرمه واجاب دعوة من لا يوثق بولائهم ودعائهم وخسر في سبيل امته صفوة احبته ونخبة عشيرته وضايق نفسه حفظاً لظواهر الدين واستفرغ وسعه وقواه في نصيحة اعداء الدين وبذل النفس والنفيس في سبيل مصلحة الدين .

كل ذلك وغير ذلك ليذكرهم الله ويستهديهم بكتاب الله حتى حانت ساعة القيام باصدق المظاهرات الدينية وهي ساعة الصلاة والشمس في الهاجرة من ظهيرة اليوم العاشر من محرم . ولم يك الحسين «ع» ممن ينسى او يتناسى الصلاة الموقوتة ولو في احرج ساعاته قدوة بابيه علي «ع» رجل الايمان فانه لم يؤخر صلاته في احرج ساعات الوغى ليلة الهرير في صفين فصف قدميه لوجه الله مصليا

والحرب ثائرة من حوله ودائرة ولما لاموه عليها اجاب: (ألسنا نحارب لاقامة الصلاة) ؟

كذلك ابنه الحسين «ع» (والشبل من ذاك الاسد) فاهتم بها عندما صاح مؤذنه ابو ثمامة الصيداوي وصلى باصحابه ولكن صلاة الخوف وسهام الاعداء تترى عليه بالرغم من استهالهم.

أيخشى الامام (ع) قتله فى الصلاة وقد مضى ابوه قتيلاً في محرابه ؟ أم يخشى الموت صحبه وهم يتسابقون اليه تسابق الجياع الى القصاع ويحبذون الموت بوجه الله وفى سبيله مع ابن رسوله «ص» ؟

ولقد كانت صلاة الحسين (ع) من اصدق مظاهر اخلاصه لله وتمسكه بالشريعة وبعيدة عن كل شبهة او شائبة: واذا كانت المظاهرات الحسينية تكشف مساوئ اخلاق اعدائه ومبلغ حرمانهم من الانسانية فان مظاهرة صلاة الخوف بين اولئك المعارضين برهنت على سوء نية العدو واستهانته بشريعة الاسلام فهي ان لم تبطل سحر العدو فى اعين الناظرين فقد ابلغت حجة الحسين «ع» الى مسامع الغائبين حيث ان العدو كان متذرعاً بحبائل الدين ضد الدعوة الحسينية يوم البسطاء والحمقاء ان يزيد خليفة النبي بمبايعة من اكثر المسلمين وان حسيناً خارج على امام زمانه !! لغايات دنيوية !! فيجب اعدامه او ارغامه !! واسم الدين

قد يغش العامة ولو كان بقصد محو الدين . ولكم تذرع المبطلون باسلحة الحق ضد اهل الحق فخدعوا بذلك العامة كما انخدع الخوارج ضد امير المؤمنين بشبهة مخالفته للدين . واي دين ؟ أهو ذلك الدين الذي قام واستقام بخدمات علي «ع» ومعاركه ومعارفه ؟؟ وكان شمر الفاتك الخارجي واشباهه من بقايا الخوارج قائمين بحركات اسلافهم في تمويه حقائق الدين بالظواهر الخداعة مستعملين اسم الاسلام آلة لاجراء منوياتهم في الحسين (ع) ولكن اقامة الامام (ع) صلاة الخوف في احرج المواقف والمواقيت بين الاسنة والحراب ، بين العدى والردى كانت اقوى آلة فعالة في ابطال سحرهم ومكرهم فانهم لم يمهلوا الحسين (ع) وصحبه ان يتعبدوا لله في حين ان الدين يفرض امهال المتعبدين . والعبادة شعار الموحدين فما عذرهم عند رسول الله «ص» في موقفه بعد موقفهم هذا ؟ أفلم يروا ريحانته يصلي الى قبلة الاسلام مع صحبه المسلمين ؟ أفلا تحترم الصلاة وهي حرم الله ؟ أولم يسمعوا كلام الله (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمناً) وصحب الحسين (ع) القوا السلاح واظهروا السلام والاسلام واستهلوا للصلاة واستأمنوهم لذكر الله . فهل ترى مظهراً للدين والحق اصدق من هذا ؟ لكن اعداء الحسين «ع» قست قلوبهم فهي كالحجارة او اشد قسوة فلم تعد تؤثر فيهم

مظاهر اسلامية او عواطف انسانية سوى السيف المخيف او الرغيف وقد كانا يومئذ في ايدي اعداء الهدى (وما الله بغافل عما يعمل الظالمون) .

* * *

(٤١)
الطفل الذبيح

اذا وصف القرآن قربان ابراهيم بالذبح العظيم نظراً لآثاره الباقية في الحج والاسلام فان المظاهرة الاخيرة التي قام بهـــا الحسـين (ع) اثرت تأثيراً عظيما من بين مجاهداته الادبية في كشف حقائق النزعة الاموية وهـــذه الحادثة الاليمة بالرغم من استحقاقها التوسع فانني لا استطيع فيها سوى الايجاز فالحسين «ع» بعـدما خلا رحله من الماء وطال على اهله الظماء حتى جفت المراضع وشحت المدامع تناول طفله الرضيع واسمه (علي او عبدالله) ليقدمه الى العدو وسيلة لرفع الحجر من الماء فاشرف على الاعداء بتلك البينة المعصومة من اية جانحة او جارحة قائلاً يا قوم ان كنا في زعمكم مذنبين فاذنب هـذا الرضيع وقد ترونه يتلظى عطشاً وهو طفل لا يعرف الغاية ولم يأت بجناية ويلكم اسقوه شربة ماء فقد جفت حالب امـــه .

فتلاوم القوم بينهم بين قائل لابد من اجابة الحسين «ع» فان اوامر ابن زياد بمنع الماء خصت الكبار دون الصغار والصغير تستثنيه الشرائع والعواطف من كل جريمة وانتقام حتى لو كان الاطفال من ذراري الكفار . وقائل ان الحسين قد بلغ الغاية من الظمأ والضرورة فان صبرتم عن سقايته سويعة اسلم امره اليكم وتنازل لكم .

فخشي ابن سعد من طول المقام والمقال ان يتمرد عليه جيشه المطيع فقال لحرملة اقطع نزاع القوم وكان من الرماة فعرف غرض ابن سعد فرمى الرضيع بسهم نحره به وصار الحسين «ع» يأخذ دمه بكفه وكلما امتلأت كفه دماً رمى به الى السماء قائلاً (اللهم لايكونن اهون عليك من فصيل) يعني فصيل ناقة صالح .

ولما احس الرضيع بحرارة الحديد وألمه فتح عينيه في وجه ابيه وصار يرفرف كالطير المذبوح وطارت روحه رافعة شكاية الحال الى العدل المتعال . وترك القلوب دامية من مصيبته المفتتة للاكباد وقد بلغ امر الرضيع الذبيح مبلغاً من قوة الدلالة على انحراف قلوب القوم عن سنن الانسانية وعلى سفالة اخلاقهم بحيث يئس الحسين «ع» عند ذلك من رشدهم وعاد عنهم خائباً وربما كانت مصيبته في خيبته اعظم عليه من مصيبته في الرضيع فاستقبلته صبية قائلة (يا اباه لعلك

سقيت اخي ماءً ؟) فاجابها (هاك اخاك ذبيحاً) .. ثم حفر الارض بسيفه ودفن الرضيع ودفن معه كل آماله .

وكان حسين الحق لم يدخر في وسعه اى قوة ولم يضيع اي فرصة فى افشاء سرائر الحزب السفياني فان قتل الذراري وذبح الاطفال كانت الشرائع والعادات تمنع عنه اشد المنع وقد روى المحدثون ان النبي «ص» بعث سرية فقتلوا النساء والصبيان فانكر النبي «ص» ذلك عليهم انكاراً شديداً فقالوا (يارسول الله انهم ذراري المشركين) فقال (أوليس خياركم ذراري المشركين) وان خالد بن الوليد لما قتل بالعميصا الاطفال رفع النبي (ص يديه حتى رأى المسلمون بياض ابطيه وقال اللهم اني ابرء اليك مما صنع خالد ثم بعث علياً «ع» فوأدهم . فلم يعهد ذبح الاطفال بعد ذلك الاما كان من معاوية فى قتله اطفال المسلمين فى الانبار وفى اليمن على يدي عامله بسر بن ارطاة وكان فيمن قتلوه ولدان لعبيد الله بن عباس (ض) ركررت ذلك اشياعه في الطف فذبحوا من الصبية والاغفال ماظهروا عليهم وظفروا بهم بغير مارحمة منهم ودون ادنى رقة او رأفة . الامر الذى برهن على غلوهم فى القسوة والفسوق عن الدين واوضح بلامرآء ولا خفاء ان قصد التشفي والانتقام بلغ بهم الى العزم على استئصال ذرية الرسول « ص » وقطع نسله ومحو اصله .

اما علي بن الحسين العليـــل فلم يفز بالنجاة من ايديهم العـادية بصغر سنه ولا بتعلق عمته به قائلة (لايقتل الا واقتل) ولا بشفاعة حميد بن مسلم واضرابه فيه بل انما نجا من حد الحديد بشدة مرضه وقوة علته وضعف املهم بحياته ونجا الحسن بن الحسن باختفائه وهو جريح طريح وفاءً من الله بوعده وحفظه لنسل نبي الرحمة باكثار المصلحين فى الامة وهدايتها بعلوم الائمة .

* * *

(٤٢)

العطش ومقتل العباس

يقف العقل حائراً كلما فكر في النظام العائلي او الداخلي سواء لاسرة الحسين «ع» او لصحبه وحسن تربيته لآله وعياله فكانوا حتى فى الشدائد اتبع له من ظلاله واطوع من خيـاله ولا ينهض بامر الجماعة مثل حسن الطاعة ولست مغالياً في قولي (طاعة اميركم فيما تكرهون ولا عصيانه فيما تحبون) فالانكسار كان ابعد شيء من مثل هذه الجماعة لولم تصبهم فاقة جوع او عطش فلا نرى شمراً مبالغاً فى قوله لقومه عن الحسـين «ع» واهله (انهم اذا وصلهم الماء ابادوكم عن آخركم) فكان احصار جيش الحسين «ع» عن الماء

الطاغية عدوه عليه ومن عد الصبر على الجوع متعسراً يعد الصبر على العطش متعذراً سيما من فحولة هاشم وسيوفهم في ايمانهم والماء بين اعينهم ويسمعون بآذانهم ضجة صبيتهم عطاشى ومرضى ونخص من بينهم الفتى الباسل ابا الفضل العباس (ض) فقد اثرت عليه الوضعية واثارت عواطفه فتقدم الى اخيه الحسين «ع» يستميحه رخصة الدفاع معتذراً بأن صدره قد صاق من الحياة ويكره البقاء. نعم لاشيء اشهى من الحياة واطيب لكنما الحي انما يحبها مادامت منطوية على مسرات ولذات اما اذا خلت من تلكما الحسنيين وامست ظرف آلام لاتطاق استحالت الحياة الحلوة كاساً مصبرة.

غير ان اقوياء النفوس لو افضى الزمان بهم الى مثل هذه الحالة العصيبة وعجزوا عن سلوان انفسهم بمهل التاريخ فانهم يختارون الموت في سبيل دفع الموت ويفضلونه على الموت في سبيل انتظار الموت.

اجل. ان الموت في سبيل دفاعه افضل واحوط من الموت في سبيل انتظاره وقد كان الحسين (ع) مستميتاً ومستميتاً كل من كان معه وكانت انفسهم الشريفة متشربة من كأس التضحية وريانة من معين التفادي. وفي مقدمة هؤلاء ابو الفضل (ض) اكبر اخوة الحسين (ع) المتاز في الكمال والجمال وثمر بني هاشم و. من رايه

الحسين (ع) وعقيد آماله فى المحافظة على رحله وعياله لذلك شق على الحسين «ع» ان يأذن له بالبراز الى الاعداء غير انه يأمل في مبارزته القوم ابلاغ الحجة واحياء الذرية وان يعين على حياة العائلة بالسقاية والرواية كما سبق منه ذلك سيما وان اخبث رؤساء جيش العدو (شمر الكلابي) وهو على شقائه امن العباس(ض) واشقائه لنسبة بينه وبين ام العباس (ام البنين) ولان عباس الفتوة اذا عهدت اليه السقاية يعود مهتما بعودته الى الحسين(ع) فكأنمن هذا وذاك وذياك كان جوابه لاخيه العباس : اذن فاطلب من القوم لهؤلاء الاطفال جرعة من الماء .

فتوجه العباس بن علي « ع » نحو الجيوش المرابطة حول الشرائع فاخذوا يمانعونه عن المـاء ويستنهض بعضهم بعضاً على معارضته ومقاتلته خشية ان يصل الماء الى عترة النبي « ص » . ولم يزل العباس (ض) يقارعهم ويقاتلهم ويقلب فئة على فئة ويفل العصابة تلو العصابة حتى كمنوا له وراء نخلة من نخيلات الغاضرية فقطعوا يمناه فتلقى السيف بيسراه مثابراً على الدفاع غير مكترث بما اصابه وهو يتلو الاراجيز تلو الاراجيز ويذكر القوم بمآثر اهل البيت وحسبهم ونسبهم من رسول الله (ص) فكمنوا له ثانية من وراء نخلة وضربوه بالسيف على يساره فقطعوها . فاضحى كعمه جعفر الطيار «ض»

يدافع عن نفسه وهو مقطوع اليدين وكأن القوم قطعوا بيديه يدي الحسين (ع) . فعند ذلك تقدم اليه دارمي غير هياب له وضربه بعمود من حديد فخر صريعاً وصارخاً : (يا اخاه ادرك اخاك) . ولم يدرك الحسين «ع» ظهيره ونصيره الا بعد اختراق الجموع والجنود وفي آخر لحظة منه نادباً له وقائلاً : (الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي وشمت بي عدوي) .

* * *

(٤٣)
الشجاعة الحسينية

ان وضعية الحسين «ع» تجاه عداه كانت دفاعية وسلسلة تحفظات وتحوطات عن سفك الدم او هتك الحرم مثل هجرته عن حرم الله ورسوله (ص) ثم مصافاته مع الحر والمحايدة عن طرق الكوفة ثم تقديمه ابن سعد لدى ابن زياد للكفاف عنه حتى يعود من حيث اتى او يغادر الى ثغور العجم والديلم وثم طلبه الافراج عن حصاره ليذهب بنفسه الى يزيد يذاكره في مصيره ومسيره ثم تحصنه خلف الروابي والهضاب ستراً على العائلة من العادية ثم مطالبته السقاية والرواية بواسطة رجاله والتشفع لديهم باطفاله وايفاد رسل النصح والسلام

اليهم والقاء الخطب عليهم الى غيرها من شواهد مسلكه الدفاعي الشريف غير ان عداه تاهوا فى خطط الاعتداء عليه فى جميع المشاهد والمواقف وبرهنوا للملأ الاسلامي انهم لايقصدون به سوى التشفي والانتقام بكل قسوة وفظاعة . وكانت خاتمة مدافعاته عند الذود عن حياض شرفه بالسلاح حينما يئس ولم يبق له في هدايتهم مطمع وغدت ابواب رجاء الحياة وآمالها موصدة في وجهه ورأى بعينيه مصارع صحبه وآله من جهة ومن الاخرى مصرع العباس «ض» اخيه وذخيرته الوحيدة لنائبات الزمان وايقن بتصميم القوم على ممانعة الماء عنه وعن صبيته بكل جهد وجد حتى يميتوها ويميتوه عطشاً فجاهد جهاد الابطال ونكس فرساناً على رجال عندما عاد من مصرع اخيه وحال القوم بينه وبين مخيمه ولم ير مكثور قط قتل ولده واخوانه ومن معه اربط جأشاً وامضى جناناً من الحسين (ع) وانه كانت الرجال لتشد عليه فيشد عليها ثم تنكشف عنه انكشاف المعزى اذا شد عليها الليث ويفرون من بين يديه كأنهم الجراد المنتشر وهو يقول

انا الحسين بن علي آليت ان لا انثني

فذكرهم ايام ابيه في صفين والجمل . ورددت اندية الاخبار ذكرى الشجاعة الحسينية بكل اعجاب واستغراب اذ حفت بحالته حالات

شذما يصادف بطل واحدة منها ، من عطش مفرط وحزم مهدد وافتجاع بجمهور الاحبة والارحام وتفرده غريباً بين الوف المقاتلين ولكن شبل علي «ع» لم يحسب لجمهرتهم اي حساب ولم تبد منه في مثل هذه الحالة الرهيبة العصيبة ماينافي الشرف ولا مايخالف الدين ولامايحاشي الانسانية . هي والله معجزة البشر وانها لاحدى الكبر وينشد في كراته :

اذا كانت الابدان للموت انشئت فقتل امرء في الله اولى وافضل

ولم يزل يدافعهم في متسع من الارض فئة بعد فئة حتى ادت الافكار والاحوال الى فكرة حصاره اثناء الكر والفر في دائرة تلال الحائر وسدوا في وجهه منافذ خروجه وافترقوا عليه اربع فرق من جهاته الاربع . فرقة بالسيوف وهم الادنون منه . وفرقة بالرماح وهم الجوالة حوله . وفرقة بالنبال وهم الرماة من اعالي التلال . وفرقة بالحجارة وهم الرجالة المنبثة حوالي الخيالة . واثخنوا جثمان سبط النبي « ص » بالجروح الدامية واكثرها في مقاديمه واضحى جلده كالقنفذ وكلما تمايل ليهوي الى الارض توازن معه فرسه (وكانت من الجياد الاصائل) حتى اذا ضعفت هي ايضاً بما اصابها من الجروح خر من سرجه على وجهه واقبل فرسه نحو مخيمه يصهل ويحمحم فخرجت زينب من فسطاطها واضعة عشرة اصابعها

على رأسها قائلة : (ليت السماء اطبقت على الارض وليت الجبال تدكدكت على السهل) . ثم صاحت بابن سعد قائلة : (ياعمر أيقتل ابو عبدالله وانت تنظر اليه ؟) فدمعت عينا عمر وسالت دموعه على لحيته . لكنه صرف بوجهه عنها . ثم اقبل شمر على الحسين (ع) يحرض الجيش عليه . والحسين يحمل عليهم فينكشفون عنه وهو يقول : (أعلى قتلي تجتمعون . وايم الله اني ارجو ان يكرمني الله بهوانكم ثم ينتقم لي منكم من حيث لاتشعرون . اما والله لوقتلتموني لالقى الله بأسكم بينكم ثم لايرضى بذلك حتى يضاعف لكم العذاب الاليم) . ولم يزل يدافع عن نفسه وقد قاتلهم راجلاً قتال الفارس المغوار يتقي الرمية ويفترص العوار لكنه يقوم ويكبو والرجالة تفر من بين يديه ثم تكر عليه .

* * *

(٤٤)
مصرع الامام ومقتله

لقد توالت على ابن النبي « ص » جروح دامية من مطاردة الابطال ومضاربة الفرسان واثناء مناصرته لانصاره ومكاشفة الجيش عن اهل بيته وعندما بلغ المسناة رماه ابن نمير بسهم فجرح

مابين فمه وحنكه وملأ كفيه دماً فحمد الله وقال : (اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تبق منهم احداً) . ثم ضربه كندي على رأسه بالسيف فقطع البرنس وادمى رأســـه وامتلأ البرنس دماً فقال الحسين «ع» (لا اكلت بيمينك وحشرك الله مع الظالمين) والقى البرنس ولبس القلنسوة ثم شج جبينه ابو الجنوب الجعفي بالحجارة فسالت الدماء على وجهه وافضت الاصابات والعصابات الى هويه نحو مصرعه .واقبل شمر برجاله يحول بين الحسين «ع» ورحاله واغتنمت رجالة الجيش عندئذ فرصة مصرعه لاغتنام مافي رحله . وما على اهله اولئك الذين فقدوا في تلك الساعة الرهيبة حامي حمـاهم فاستفزت ضجتهم مشاعر الحسين الهادئة فرفع رأســه وبصره واذا باجلاف القوم زاحفون من سفح التلال نحو مخيمه للسلب والنهب فاثارت الغيرة في حسين المجد روحاً جديدة فنهض زاحفاً على ركبتيه قائلاً : (ياشيعة آل ابي سفيان ان لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم المعاد فكونوا احراراً في دنياكم وراجعوا احسابكم وانسابكم ان كنتم عرباً) .

فصاح شمر (ماتقول يابن فاطمة ؟) قال الامام (اقول انا الذي اقاتلكم وتقاتلوني والنساء ليس عليهن جناح فارجعوا بطغاتكم وجهالكم عن التعرض لحرمي) . فقالوا (ذلك لك ورجعوا) .

ومكث الامام «ع» صريعاً يعالج جروحه الدامية والناس يتقون قتله وكل يرغب في ان يكفيه غيره . فصرخ بهم شمر قائلاً : (ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم امهاتكم) فهاجوا على الحسين «ع» واحتوشوه فضربه زرعة على عاتقه بالسيف . واقبل عندئذ غلام من اهله وقام الى جنبه وقد هوى ابن كعب بسيفه فصاح به الغلام (يا بن الخبيثة أتقتل عمي ؟) واتقى السيف بيده فاطنها وتعلقت بالجلدة فنادى الغلام (يا اماه) فاعتنقه الحسين «ع» قائلاً : (صبراً يا بن اخي عَلَى مانزل بك فان الله سيلحقك بآبائك الطاهرين الصالحين . برسول الله وبعلي وبالحسن) . ثم قال : (اللهم امسك عنهم قطر السماء وامنعهم بركات الارض . اللهم ان متعتهم الى حين ففرقهم فرقاً واجعلهم طرائق قددا ولا ترض عنهم الولاة ابداً فانهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا يقتلونا) .

ثم تضاعفت الرجالة والخيالة عَلَى الحسين «ع» وطعنه سنان برمحه وقال لخولى (احتز الرأس) فضعف هذا وارعد فقال له سنان « فت الله عضدك » ونزل وذبح الامام ودفع رأسه الى خولى . وسلبوا ما على الحسين «ع» حتى سراويله ونعليه . ثم تمايل الناس الى رحله وثقله وما على اهله حتى ان الحرة كانت لتجاذب على قناعها وخمارها والمرأة تنتزع ثوبها من ظهرها فيؤخذ منها والفتاة تعالج

على سلب قرطها وسوارها والمريض يجتذب الاديم من تحته .

ثم نادى ابن سعد في اصحابه : « من ينتدب الى الحسين فيوطئ الخيل صدره وظهره » . فانتدب عشرة فوارس وداسوا بحوافر خيلهم جنازة الامام ورضوا جناجن صدره وصلى ابن سعد على قتلى جيشه ودفنهم وترك الشهداء الصالحين على العراء « وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون » .

* * *

(٤٥)
بعد مقتل الحسين «ع»

قتل الظالمون حسين الفضيلة وفرحوا بقتله فرحاً عظيما . اذ حسبوا انهم قتلوا به شخصيته ودعوته وصرعوا به كلمته وحسبوا انهم اخذوا به ثأر اسلافهم وانتقام اشياخهم : داسوا بخيلهم جناجن صدر الحسين «ع» وسحقوا جثمانه وزعموا انهم سحقوا به كلمة الحسين «ع» ومحقوا دعوته .

تركوا جسد الحسين «ع» واجساد من معه عراةً على العراء بلا غسل ولا كفن ولا صلاة عليها ولا دفن زاعمين انهم اهملوا بذلك شخصية الحسين (ع) واهمية الحق والايمان : مثلوا بجثـــة

الحسين(ع) ـ وقد منع الاسلام عن المثلة ـ زاعمين انهم جعلوا داعية العدل وآية الحق امثولة الخيبة والفشل وانه سيضرب به المثل : لعبوا برأسه على القنا وبرؤس آله وصحبه امام العباد والبلاد زاعمين انهم سيلعبون بعده بعقائد العباد ومصالح البلاد ماداموا ودامت : سلبوه وسلبوا اهله ونهبوا رحـــله واحرقوا خيمه وابادوا حرمه زاعمين انها هي الضربة القاضية فلن ترى بعدئذ من باقية . ظن ذلك القوم وايدتهم كل شواهد الاحوال يومئذ حتى دفن ابن سعد جميع قتلى جنـده في يومه وغده ودفن معهم كل خشية او خيبة كانت تجول في واهمته ورحل عن كربلا برحل الحسين «ع» واهـــله والرؤس الى ابن زياد الجور وترك اشلاء حامية الحق وداعية العدل جرداء في العراء بين لهيب الشمس والرمضاء وعرضـة للنسور والعقبان . ومما يثير الشجون والاحزان ان علي الايمان حارب البغاة من اقطاب الحركة الاموية في صفين والجمل وبعد قتلهم اجرى عليهم سنن التجهيز والدفن مراعياً حرمة الاسلام وحشمة الشهادتين اما المنتقمون من حسين الحق وصحبه فلم يحترموا فيه اي شعار ديني او ادب قومي . قنعوا منهم بدمائهم عن التغسيل وبالترب عن التحنيط وبنسج الرياح عن التجهيز وليت شعري ماذا يصنع اولياء الحق بصلاة اولياء الشيطان ؟ وحسبهم منهم ان صلت على جسومهم

سيوفهم وشيعت اجسادهم نبالهم وألحدت اشـــلاءهم العوادي والعاديات فعليهم واليهم صلوات الله والصالحين ودعوات طلاب العدل وعشاق الحق مالاحت الاصباح وروحت الرياح .

هــذا وماعمت عشية الثاني عشر من محرم الا وعادت الى ارياف كربلا عشائرها الضاعنة عنها بمناسبة القتال وقطان نينوى والغاضريات من بني اسد وفيهم كثير من اوليــاء الحسين «ع» وقليل ممن اختلطوا برجالة جند الكوفة فتأملوا فى اجساد زكية تركها ابن سعد في السفوح وعلى البطاح تسفي عليها الرياح وتساءلوا عن اخبارها العرفاء فــا مرت الايام والاعوام الا والمزارات قائمة وعليها الخيرات جارية والمدائح تتلى والحفلات تتوالى ووجوه العظماء على ابوابها وتيجان الملوك على اعتابها وامتدت جاذبية الحسين «ع» وصحبه من حضيرة الحائر الى تخوم الهنـــد والصين واعماق العجم وماوراء الترك والديلم يرددون ذكرى فاجعته بممر الساعات والايام ويقيمون مأتمه فى رثائه ومواكب عزائه ويجدون فى احياء قضيته في عامة الانام ويمثلون واقعته في ممر الاعوام . هذا بعض ما فاز به حسين النهضة من النصر الآجل والمظفرية فى المستقبل (ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره المبطلون) .

اما الحزب السفياني فقــد خاب فيما خاله وخسرت صفقته

وذاق الامرين بعد مقتل الحسين «ع» في سبيل تهدئة الخواطر واخماد النوائر حتى صار يعالج الفاسد بالافسد ويستجير من الرمضاء بالنار كقيامه باستباحة مدينة الرسول «ص» واخافة اهلها وقتاله ابن الزبير في مكة حرم الله والبلد الامين حتى حاصروه ورموه بالمنجنيق وقطعوا سبل الحج على المسلمين وهتكوا معظم شعائر الدين ونهض المختار الثقفي وزعماء التوابين العراقيين طالبين ثأر الحسين «ع» فقتلوا ابن زياد وابن سعد واشياعهما شر قتلة واهلكوا شمراً بكل عذاب واحرقوا حرملة حياً وتتبعوا قتلة الحسين «ع» ومحاربيه في كل دير ودار وقتلوهم تحت كل حجر ومدر واصلوهم الجحيم والجحيم واستجاب الله دعوة الحسين (ع) يوم عاشوراء اذ قال: (وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة) الخ.

ولم تزل عليهم ثائرة اثر ثائرة ونائرة حرب تلو نائرة حتى أذن الله سبحانه بزوال ملك امية وسقوط دولة بني مروان على يد السفاح الهاشمي العباسي احمد واخيه محمد ابني عبدالله والقائد الباسل ابو مسلم الخراساني وثلة من فحولة هاشم. فثلت عروش تلك الدولة الجائرة ودكت اركان حكومتها الغدارة واستأصلوا شأفتهم وابادوهم رجالاً ونساءً حتى لم يبق منهم آخذ ثار ولا نافخ نار واحرقوا

من آثارهم حتى الرميم المنبوش ولعنوا حيثما ذكروا وقتلوا اينما ثقفوا فتجد حتى اليوم قبر يزيد الجور في عاصمة مملكة كومة احجار ومسبة المارة . لايذكر في شرق الارض وغربها الا بكل خزي وعار

هـذه عاقبة الجائر الفاجر وتلك عقبى المجاهد الناصح .

والارض لله يورثها عباده الصالحين .

تمت

تقريظ الكتاب

لقد جادت لتاريخ تأليف هـذا الكتاب الجليل قريحة العالم الهمام علم الفقهاء الاعلام فضيلة الشيخ جعفر النقدي دامت افاضاته بما يأتي على سبيل البداهة :

هبة الدين همام قد سما	في سماء العلم أعلى الرتب
نصر الدين بفكر ثاقب	ويراع فاق بيض القضب
قام حقاً بين ارباب الهدى	لرحى العلم مقام القطب
جاء في اعلى كتاب مارأت	مثله قبل عيون الحقب
خير . فرحق للاسفار ان	تجثو اعظاماً له في الركب
فخر اهل الدين قد جاد به	أرخوه (هو فخر الكتب)

١١-٨٨٠-٤٥٣

سنة ١٣٤٤هـ

فهرست عناوين (نهضة الحسين «ع»)

قائمة تصحيح الاغلاط لكتاب

﴿ نهضة الحسين ﴾

رقم الصحيفة	عدد السطر	الخطأ	الصواب
٤	١٧	فيقتلوم	فقتلوم
١٥	١٣	ايمان	الايمان
١١	١٠	التسط	الطست
٢٨	١٨	عن الامام	من الامام
٢٩	٤	يناماه	يتاماه
٣٠	١١	المهمين	المهيمن
٣٨	٨	كاليل	كالليل
٤٠	١٥	العباس	عباس
٥٠	٣	هاسم	هاشم
٥٧	٥	ينع	يمنع
٥٧	١٥	ذى حسم	ذا حسم
٥٨	٧	اما نحر	اما الحر
٦٧	١	اثاق	آثار
٦٧	١٦	الكوفى	كوثي
٧٣	١٣	بما	بم
٧٤	٥	الفشل	القتل
١٠٢	١٠	فوأدم	فودام
١٠٤	١٧	ابو الفضل	ابو الفضل العباس
١٠٥	١٤	للناضرية	الناضرية
١٠٨	١٦	ضعفت هي ايضاً بما اصابها	ضعف الفرس ايضاً بما اصابه
١١٠	١٧	تقاتلوني	تقاتلونى

حول كتاب (نهضة الحسين)

نشر تحت هذا العنوان وبارقام متسلسلة مايتوارد من الكتب والتقاريظ والردود والنقود حول كتاب (مختصر نهضة الحسين — ع —) نظماً ونثراً منتخبين منها مايشتمل على الحقائق الناصعة والاشارات النافعة ليطلع القريب والبعيد على الشعور الادبي العربي ويستكشف من ذلك انظار ادبائنا الافاضل وحسياتهم الحسنى تجاه هذه الحادثة الاسلامية التاريخية والمركز الادبي لهذا الكتاب الخطير

صالح الشهرستاني

الكلمة الاولى

لحضرة العلامة الاكبر والاستاذ المشتهر حجة الاسلام وركنه الشيخ محمد حسين النجفي آل كاشف الغطاء دامت بركاته وعمت افاداته وهي:

كتاب (نهضة الحسين) الاثر الجليل الذي مازلت انوه به واحث عليه منذ رايته قبل برهة لا رعاية لحقوق الصداقة والاخوة بل عناية بحقوق الحق والمروة، فانه من الآثار الخالدة التي هي من كتب الدهر لا من كتب العصر ومن الجاريات مع الابد لا الساريات الى امد ومثل هذه الكتب القيمة هي التي تنضج الافكار وتنشط العزائم وتبعث في مطالعيها روح الهمة للتفاني على الحق والتهالك على الاباء وعزة النفس وليس هذا مقام بيان مزايا ذلك المؤلف الحافل بكل الفضائل. وارغب الى الحق جل شأنه ان يفسح للسيد اعزه الله في العمر وطول البقاء مع العافية والرفاهية حتى يتوفر حظ الامة من الانتفاع برشحات اقلامه وثمرات افكاره بمثل هذه النفايس التي تستنير بها الحقايق وتنكشف بها ظلمات الجهل. هذا رأيي وما انا به بعاطفة ود او هوى بل النظرة المجردة الى صميم الحقيقة والله على ما نقول شهيد

لفضيلة العالم الهمام علم الفقهاء الاعلام ثقة الاسلام الشيخ جعفر النقدي دامت افاضاته .

(هبة الدين) همام قد سما	في سماء العلم اعلى الرتب
نصر الدين بفكر ثاقب	ويراع فاق بيض القضب
قام حقا بين ارباب الهدى	لرحى العلم مقام القطب
جاء في اعلى كتاب ما رأت	مثله قبل عيون الحقب
خير سفر حق للاسفار ان	تجثوا تعظيما له في الركب
فخر اهل الدين قد جاد به	ارخوه (هو فخر الكتب)

٤٥٣-٨٨٠-١١

سنة ١٣٤٤هـ

ـ٣ـ

لفخامة القائد الشهير احد اركان النهضة العربية وقوام الحركة الوطنية جعفر باشا العسكري رئيس الوزراء في الحكومة العراقية الجليلة عز الله تعالى به الدين والوطن .

لقد قرأت بعض فصول كتاب (نهضة الحسين) فرايته على جانب عظيم من النفع والاصلاح شانكم في الموضوعات الجليلة التي تخوضون غمارها ، وفي الحقيقة انه كتاب قيم لم ينسج احد على منواله ومفيد كل كل الافادة للنشء الحديث الذي ينبغي ان نثقفهم ثقافة عربية اسلامية صحيحة ، والامام الشهيد ولاغرو زعيم هذه الثقافة المستندة الى دعائم ثلاث . الاخلاق الفاضلة والعروبة والمصلحة الاسلامية العامة .

— ٤ —

ـ للفاضل الاوحد نادرة الاحباب ونابغة الطلاب الشيخ محمد علي الاوردبادي النجفي دام علاه

روضة فيهـا مجاني الادب ... ام ذكاء قد بزغت من كثب
ام هي الصهباء بدت فلنكا ... ودوار يه بطنا في الحبب
(هيـة الدين) وكم اطلعهـا ... انجمـا فوق منـاط الشهب
وكسى التاريخ من آرائه ... بحلى اثواب مجد قشب
وشائي السبوق اذ لم تعـده ... فـكرة تخرق كل الحجب
نسخت آيك ما قد لفقوا ... من اساطير خلال الـكتب
ولقد ابقيت مجداً خالداً ... يتعـاطاه ممر الحقب
لم يفتك النصر بالسيف فذا ... مزبر ماض كحـد القضب
نهضة السبط لئن حررتهـا ... مثلما كان له من ارب
فلقد صحت احاديث الابا ... لك من جدك عن خير اب
او تقربت الى المولى بـهـا ... هو للرحمن خير القرب
فلك المجد تقرباه وفى ... شامخ الفضل و زاكي الحسب
صغتها في قالب الفخر ولا ... بدع من ايدك سبك الذهب
فتجلت نـدبا قـل لي فمن ... علم الورق فنون الندب

— ٥ —

للفاضل الاديب والـكاتب المجيد السيد محمد مهدي العلوي آل شيخ الاسلام السبزواري المحترم .

هبة الدين الشهرستاني هو ذلك العالم الفذ الذي عرفه ابناء الضاد وغيرهم بخدماته الاصلاحية ومآثره العلمية

وقدارانا اخيرا كتابه الجليل وتصنيفه الذي لا يماثله مثيل « مختصر نهضة الحسين » فرايته كتابا جم فاوعى مالم يوعه غيره من المؤلفات المؤلفة في هذا الشان

فقد الف العلماء والافاضل قبل هذا اليوم كتبا كثيرة في اخبار الامام الحسين (ع) ومقتله غير انها كانت ناقصة عن المطلوب

اما اليوم فيشاهد القاريء الكريم في كتاب (نهضة الحسين اخبار مقتل الحسين (ع) بتمامه وكماله وذكر اسرار وافية الطف وتفصيل ذلك باتم شرح واجلى بيان

وقد اجتمع في هذا الكتاب مباحث من الدين والعلم والفضائل والاخلاق والسياسة

فالكتاب الذي يجد فيه العالم والاديب والكاتب والسياسي ضالته المنشودة حري بان يترجم الى جميع اللغات

وبينما كنت اطالع هذا الكتاب اذ عثرت على اشتباه فيه وهو: قال فضيلة المؤلف في ص ٢٨ و ٢٩ من هذا الكتاب ماعبارته : (وقتل الحسين (ع) منه - اي من عبد الله بن جعفر بن ابي طالب - بارسال شبليه الباسلين وقد كانا ناصريه بالنفس والنفيس وكانت امهما زينب ... الخ)

فاقول : ان ولدي عبدالله بن جعفر المقتولين بكربلاء هما : عون الاكبر المدفون على بعد فرسخين من كربلا ومحمد.

اما عون فامه زينب بنت امير المؤمنين علي عليه السلام . واما محمد فامه الخوصاء بنت حفصة بن ثقيف بن ربيعه وينتهي نسبها الى بكر بن وائل فالسيدة زينب عليها السلام لم تكن ام الاثنين (١) كما قاله العلامة المؤلف (٢)

---

(١) نقلت هذه النبذة بنصها من مجلة المرشد ص٢٧٣ من المجلد الثاني

(٢) لما كانت زينب ام احدهما ومربية الثاني جاز القول بانها امهما من باب التغليب. والتغليب عادة للعرب مثل الشمسين والقمرين. (صالح)

حول كتاب (نهضة الحسين)

— ٦ —

الخطيب الاديب الفاضل الشيخ علي البازي نزيل الكوفة

ذا (هبة الدين) وابوسه — بالمجد والجد سما النيرين
(هيئته) جلت و(توحيده) — حتم بلا شك وريب ومين
فهو(دليل) الهدى (مرشد) — وللمعالي الغر انسان عين
فمن مساعيه التي استوجب ا — شكر بها (نهضته الحسين)

—٧—

الفاضل المشتهر والاديب الاكبر الشيخ محمد حسن الحيدر نائب لواء المنتفك في مجلس الامة العراقي :—

(السيد هبة الدين الشهرستاني) هو العلامة الفذ المعروف بعلمه الطائر الصيت في سائر انحاء المعمور حتى قل ان يوجد له نظير في عصرنا الحاضر بمؤلفاته القيمة التي جادت بها رشحات قلمه السيال كالسحر الحلال خدمة للامة الاسلامية خاصة والعربية عامة ...

وحسب القارئ الكريم دليلا ناصعا على علمه الجم تأليفه الحديث (نهضة الحسين ع) فقد اودع فيه من الدين والاخلاق والتاريخ والسياسة مالم يودع في غيره من الكتب الطافحة باخبار الحسين (ع) ووقعته التاريخية المعروفة .

ولا اغالي في معاليه ان قلت قد فاز من يده الطولى بالقدح المعلي على كل مؤلف في كشفه اسرار نهضة الحسين سيد الاباة (ع) فلم نر مثيله قرأته حين لمسته بتشوق وتلهف فرأيته وحيدا في بابه حسنا في

اسلوبه فحرى برواد الادب وطلاب العلم ان يقتنوه لمكتباتهم وان ينوهوا بفضله فى منتدياتهم لانه هو الكتاب الذي بتعاليه يعلمنا روح النهضة الحقة ويرشدنا الى عزة النفس من اباء وشمم وعز وهمم فمن الحق وايم الحق ان يشكر عليه حين يذكر . واتمنى من المولى جل وعلا ان يطيل بقاء فضيلة المؤلف لتنتفع الامة بارشاداته الدينية ومآثره العلمية قائلا :

حيي هبة اليوم محيي السنن — مرشد الاسلام عن الوطن
(هبة الدين) وما ادراك ما — (هبة الدين) فريد الزمن
نصر الدين ولولا نصره — لكاد ان يرجع دين الوثن
كم حمى حوزته من فتنة — بذرت فيه بذور الفتن
لا تخافوا اليوم فالدين علا — رغم اناف العدى في مأمن
كيف نخشى بزمان (هبة الـ — دين) اضحى فيه محيي السنن
طالما عن حوضه ذاد وكم — دونه ارخص غالي الثمن
طالما شمر عن ساعده — غير هياب ولا ذو وهن
ناهجا نهج الهدى فى قومه — ابداً مهما رأى من محن
ما ونى في الذب عنه ساعة — مذ نشا في السر او في العلن
ما اونى مثله هاد لنا — فيه جيش الغي عنا قد فنى
حكم على التاريخ والعلم له — من يد طولى ومن فضل سنى
لم يولع ابدا في عمره — بسوى العلم ولم يفتتن
كم له من كتب الفها — خدمة للدين او للوطن
كتبا يعجز عن ادراكها — حيرة فكر اللبيب الفطن
فانظروا تأليفه فى نهضة الـ — سبط سبط المصطفى المؤتمن
قد جلا بعد غموض سرها — بوضوح وجلاء بين

كاشفا فيه لنا علتها ... ببيان كان عنا مكمن
كلما سرحت في اياته ... نظري اياته تسحرني
زدت اعجابا به حتى لقد ... رحت والشوق به هيمني
لا اغالي ان اقل يا معشري ... مثله ما كان بل لن يكن
كم كفور سيء منه حنقا ... ولكم سر به من مؤمن
انا مهما رمت احصي فضله ... وعلا سؤدده حيرني
عجزاً في وصفه حرت على ... انني للصقع معي الالسن
هذه (الهيئة والاسلام) و(الـ ... ـعلم) و(التوحيد)نورالاعين
معجزات ابد الدهر له ... قد اشادت اي ذكر حسن
تلك من اثاره الغر التي ... اشرقت انوارها في المدن
تلك ايات هدى نورا زهت ... فجلت ليل الضلال المردن
تلك روضات جنان فاجتلي ... نورها اونورها الزاهي اجتني
حسبه فخرا بها دلت على ... علمه السامي علا في الزمن

****

(هبة الدين) على رغم العدى ... عش عزيزا ناعم البال هني
دم حمى للدين والاسلام ما ... غردت ورق باعلى فنن
انما فيك وفي امثالك الـ ... ـيوم يغدو الدين سامي الركن

سوق الشيوخ ... محمد حسن حيدر

— ٨ —

لمجلة العرفان من كبريات المجلات الشهيرة في عالمي العلم والادب قالت في الجزء الثامن من سنتها الثالثة عشره ص ٩٤٦ مانصه : —

(مختصر نهضة الحسين)

هذا الكتاب الجديد سلسلة حوادث تاريخية حول فاجعة الامام سيدنا الحسين بن علي عليه السلام . وهو تأليف السيد هبة الدين الشهرستاني المشهور في علمه وفضله . وقد حلل تلك الفاجعة تحليلا فلسفيا نافعا في بابه وقد طبع بمطبعة دار السلام في بغداد طبعا جيداً على ورق فاخر وذلك في سنة ١٣٤٥ﻫ فجاء في ١١٦ صفحة بقطع العرفان ويطلب من ادارة العرفان في صيدا وثمنه ١٧ قرشا ذهبيا او ليرة سورية .

— ٩ —

للواعظ الاديب الشيخ سلمان الانباري : —

وسفر وماعيني رأت مثله سفرا	احاط باخبار بن فاطمة خبيرا
جلاه لنا الحبر الذي اعترفت له	جميع البرايا أنه اصبح الحبرا
محمد الندب العلي ومن علا	على القطب والعيوق والمشتري قدرا
وقد زفه للذاكرين فقلت يا	الاه ابقه حتى للمعاد له ذكرى

— ١٠ —

لجريدة الكرخ البغدادية الزاهية في عددها ٢٤ لسنتها الاولى قالت : —

(نهضة الحسين)

اهدانا حضرة الاستاذ السيد هبة الدين الشهرستاني مؤلفه الجديد (نهضة الحسين) فتصفحناه فوجدناه كتابا جديرا بالاقتناء والمطالعة فقد نهج به الاستاذ المذكور طريقا لم يسلكه احد من قبله فجاء الكتاب سجلا وافيا في تاريخ الحسين « ع » وتفصيلا دقيقا عن فاجعة « كربلا » وحوادثها مأخوذاً من اوثق المصادر واصحها . والكتاب بحد ذاته مؤلف جليل اذ هو صفحة من صفحات التاريخ الاسلامي سيا ومؤلفه جناب العلامة المؤمى اليه فنحث المولعين في التاريخ ان يقتنوا هذا الكتاب الفريد في بابه .

حول كتاب (نهضة الحسين)

—١١—

لنابغة الهند وسليل العلم والمجد السيد احمد الرضا الهندى النجفى :—

كتاب تاريخ ولكنه	من خالص العلم حوى محضه
شفا سقيم العلم لما بدا	وجس فى تحقيقه نبضه
يا ساهرا من اجل نشر الهدى	ولم يذق من اجله غمضه
وناصبا للدين اعلامه	ورافعا فى جزمه خفضه
سما بك العرفان اوج السما	وفيك ارخ « بانت النهضه »

١٣٤٤

—١٢—

لعلامة مصر الاكبر وفيلسوف الاسلام المشتهر فضيلة الشيخ طنطاوي جوهري صاحب المؤلفات القيمة واستاذ العلوم الدينية والادبية والاخلاقية قال دامت بركاته في كتاب له ما نصه : —

كتاب (نهضة الحسين) لعلامة العصر وفريد الدهر صاحب السماحة السيد هبة الدين الشهرستاني ادام الله فيضه عبرة لمعتبر وحكمة لمستبصر وآية كبرى ونعمة عظمى بعث من شقاوة الامة سعادة ومن الموت حياتا ومن اعظم المئاثم اجل المواهب، كتاب تجلت فيه الروح الحسينية فرفرفت على قلوب قارئيه من المصلحين. ولطالما قرأنا هذه القضية في الاخبار والسير وتصفحنا كثيرا من الرسائل والكتب ولكن ليس المدار على الروايات ونشرها ولا الاخبار وذكرها وانما السير للعبر وللمبتدأ الخبر. ولعمري لم تقع عيني على صفحة منه الا وجدت في النفس انكارا للذات وشوقا الى ورود حوض المنايا لرفع الامة واحتقار الشأن والحياة عا[illegible]

يستعر الالباب . هـذا الكتاب اشتق من بؤس السلمين بقتل ابن الرسول (ص) يشوق الاحرار الى التضحية واحراز قصب السبق في سـبيل الله وطلب المجد من افضل التي المنايا يتسابقون اليها زرافات ووحدانا، ولقد تبين من هذا الكتاب صدق ما قاله لي منذ سنة بالاسكندرية العلامة الفاضل العبيدي مفتي الموصل ما نصه (ان الشيعة في نهضة العراق بدا تذكر فتشكر وعزيمة لاتقل ولاتقهر) وان روح الاخلاص وانكار النفس وعشق الفضيلة لا ينالها الا قوم احسوا بشرف النفس وعزتها وعظمة الآباء والاجداد ولا يتم ذلك الا بذوي الفصاحـة والبيان والقلم اولئك الذين يبذرون في الامم بذور الحماسة والاخلاص وبهم يقتدي المقتدون ويظهر المصلحون كالعلامة السيد هبة الدين . فلله درك ايها المصلح الكبير . هذا وابدي رجاء انبعث من قلبي بمصر الى فضيلتك بالعراق ان تولي وجهك شطر الامة المحمدية عموما فوق ماعملت لها سابقا وتنظر الى مآتمها العام (بالجهالة والذلة والتفرق) فتخطو بها بسحر بيانك الى العلم لتخرجها من القل وتجمع لها الشمل ذلك رجائي فيك والاخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى. والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين

طنطاوي جوهري

—١٣—

لسيد الادباء واشرف الخطباء السيد محمد آل شديد الحسيني الكاظمي :—

نهضة للحسين قد القتها	فكرة العبقري الهمام العلي
برهنت للانام في حسن لفظ	واتتهم بكل سر خفي
فلو ان الرضي طالع فيها	لارتضاها بقوله المرتضي
من احق الورى باظهار فضل	لحسين بن الورى من علي
هاشمي قد قام في كشف سر	للبرايا لناهض هاشمي

لمجلة (الكلية) السورية (وهي من كبريات صحف العلم وجمال اقلام اساتذة الفن بقلم الفاضل المشهور من تلامذتها المنتشرين) وهي لسان حال الجامعة الامريكانية في بيروت قالت في جزئها الاول من المجلد الرابع عشر في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٧ م مانصه :

«نهضة الحسين»

كتاب اجتماعي اخلاقي تاريخي تأليف العلامة السيـــــد هبة الدين الشهرستاني وزير معارف العراق . طبع في مطبعة دار السلام ببغداد ويقع في ١١٦ صفحة ورقه صقيل وحروفه جلية

ان اكثر الكتب التي كتبت عن مقتل الحسين ر . ض . لم تكن لتعتني بالوجهة التهذيبية النفسية لهذه الحادثة الجليلة بل كانت سلسلة روايات واوصاف وضعت في قالب عتيق يمجه ذوق الطالب العصري وينفر منه . اما كتاب نهضة الحسين فقد جاء باسلوب جديد يجذب الطالب المتجدد ويفيده علميا وخلقيا . ولا عجب فان العلامة الشهرستاني قد وقف على افكار الشبان المتجددين من ابناء هذه البــــلاد فعرف اذواقهم وادرك مواطن الضعف فيهم . وما احوجنا اليوم الى اناس يقتدون به فيظهرون محتويات كتبنا العتيقة في ثوب قشيب واسلوب جديد وان عملا كهذا حسب ما نعتقد سيزيل كثيرا من سوء التفاهم الموجود بين طبقة الشبان المتجددين ورجال الدين ولا سبيل لتقدمنا اليوم الا بالتفاهم المتبادل !

ان الطريقة التي يتبعها علماء التربية اليوم في تهذيب اخلاق " النشء وتقويمها هي طريقة المثال الاعلى وذلك بان يقدموا للنشء سير الابطـال ورجال الفضيلة بصورة تجذب عواطفهم وتملك قلوبهم فيجعلون صور اولئك

الاشخاص ابدا نصب اعينهم فيجتهدون في تقليدها والنسج على منوالها وها ان العلامة الشهرستاني قد نصب صورة الحسين ر . ض . وشخصيته مثالا اعلى لشبان اليوم في اتباع الحق والجهاد في سبيل المبدأ والسعي وراء نشر الفضيلة ومحاربة الظلم والاستبداد. كل ذلك بهمة لا تعرف الملل حتى ضحى النفس والنفيس في سبيل الحق والمبدأ .

لنترك البحث في منزلة الكتاب التاريخية فانها لاتعد شيئا امام قيمته التهذيبيه الاجتماعية اذ ما احوجنا اليوم الى شبان يتعلمون درس انكار الذات وتضحية النفس في سبيل الحق والفضيلة من الحسين ر . ض .

اذن فكتاب نهضة الحسين كتاب تهذيبي اخلاقي قبل كل شيء وهو لايخص ابناء الطائفة الشيعية فقط بل شبان العالم على اختلاف مللهم ونحلهم . ماهو بكتاب طائفي بل هو كتاب تهذيبي عام حرى بالناطقين بالضاد ان يقرأوه ويضعوا شخصيه الحسين ر . ض . كما يصورها هذا الكتاب نصب اعينهم فانه مثال الايمان والثبات والتضحية .

(محمد فاضل الجمالي)

— ١٥ —

للفاضل الاديب الشيخ عبدالكريم الدجيلي :—

رشحك الله لدين الهدى	فقمت فيه ناهضا باليراع
وانت سر لحياة الورى	اذا سنا نورك في الكون ذاع
ان جردت للضرب بيض الضبا	فسيفك للزبر عند القراع
علامة العصر هيام به	قد ضبطت بغداد كل البقاع
وشمس افق العلم اضحى لنا	قد طبق العالم منها شعاع
اقمت دين الله في « نهضة »	قد طار قلب البغي منها شعاع
قد وردتنا فوجدنا بها	فلسفة طورا وعلم اجتماع

حول كتاب (نهضة الحسين)

-١٦-

لجريدة «حضرموت» الشهيرة في العالم العربي الجديد مماوراء البحار (حاوه) والتي تسمى اميرة الصحف في عروبتها اليمانيــة وفصاحتها القحطانية . قالت في عددها ١٢٣ لسنتها الرابعة مانصه : —

مختصر نهضة الحسين

السيد هبة الدين الشهرستاني الحسيني رحل العلم والدين وبطل الاصلاح والنهوض ، وهو بشهرته الذائعة وسمعته الطائرة وصفته المنتشرة غير مفتقر الى النعت وفي غنى عن التعريف:

اخرج للناس حديثاً كتاباً قيماً ومصنفاً نفيساً وسمه بـ (مختصر نهضة الحسين) وافرغه في قالب بديع صاغه خصيصاً وقدمه لتخليد ذكرى هذه النهضة التاريخيــة الفريدة التي هي نواة ما تلاها من النهضات التي تكافح الاستبداد والاثرة وتصارع البغي والطغيان ، وتنافح بسيف الواجب والفضيلة وتمشق حسام الحق والصدق وتطعن برمح العـــدل والايمان وقد اتى فضيلة المولف في هذا السفر الثمين على سلسلة الحوادث التاريخية حول فاجعة الامام سيدنا الحسين السبط بن علي عليهما السلام المأخوذة من اوثق المصادر ، ناهجاً منهجاً فريداً في تعليل الحوادث وسرد المقدمات وترتيب الوقائع وتحليل الاسباب باسلوب فلسفي تحفه

حالة ذلك الاشراق الانشائي ، ويترشح منه ندى تلك الطلاوة التحبيرية التي تأبى ان تفارق منشئات هذا النحرير الجامع ومدبجات هذا الجهبذ الحجة .

وقد متعنا النظر وسرحنا الطرف في مطالعة هذا الكتاب الثمين الذى يدخر كميراث كريم للاعقاب ، ويقتنى كعلق نفيس لاتبور دراريه ولاتكسد جواهره ؛ انى تطاولت العهود وتمادت الاحقاب ، وكان الفكر والخيال يرفرفان ويتغلغلان في فضاء استعراض تلك الادوار العصيبة وفي المرور بحوادث تلك الذكريات المؤلمة التي طغى فيها تيار الباطل على معاقل الحق وظهر فيها عتو الملك العضوض وبطر العصبية المهلكة على تقديس المبادئ المحمدية والوقوف مع التأسيسات الاحمدية وكيف كانت سيوف الظلم والبغي تعمل اخاديداً في اديم هذه البسيطة بما تسفكه وتجريه من سيول الدماء الزكية التي اهدرت من فروع دوحة النبوة وعترة الرسالة واهريقت من ضحايا قرناء الكتاب والسنة وسالت من قرابين ثقل الحجاة والعصمة ، الذين سجلوا شهادة الاستماتة في الاعتصام بالكتاب والسنة وفي الاستمساك بالواجب والفضيلة بما رقمه الهدى واساله على ظباته من مهجهم العزيزة ثم كيف حاق الخذلان بالذين قال القائل ملمحا بخيانتهم « السيوف عليك والقلوب معك » وكيف كانت الصوارم المتحزبة للملكية والعصبية امضى واصدق من القلوب المنطوية على الايمان بالرسالة الاحمدية والافئدة المضمرة الود للعترة النبوية . وهيهات جدوى تمنيات افئدة متذبذبة في الود ، مترددة في الصدق مع تألب قواضب قواض على

العدل واجلاب خيل ورجل لارواء غلة الانتقام واشباع نهمة الجهل، وهكذا كان الفكر والخيال يتعرضان كل هذا ويسرحان في اودية المقابلة بين سطوع وتلالأ تلك الفضائل الزهراء ، وبين فحمة وظلام الرذائل النكراء ، التي جاء هذا الكتاب وافيا بتحقيقها وتحليلها.

طبع هذا السفر الذكري المجيد طبعاً جيداً على ورق عال بمطبعة دار السلام (بغداد) ويقع في نحو «١٢٠» صفحة ويطلب من مؤلفه ومن مجلة المرشد ومن ادارة (حضرموت) فنحث الادباء وطلاب العلم وعشاق البحث على اقتنائه

—١٧—

للفاضل الاديب السيد عبدالمهدي الاعرجي النجفي قائلا :-

لله حـبر لم يزل فاتحـا	لـكل سر للهدى غامض
وناهضا من علم آل الهدى	بكل عبـأ للفتى باهض
فـكم له من معجز باهر	اشرق مثل الكوكب الوامض
انشأ لابن المصطفى (نهضة)	اكرم به من سيد ناهض

—١٨—

الجريدة العراق البغدادية الفائقة على اخواتها في حسن الصيت والقيام بواجب الصحافة . قالت في عددها ٢٣٦٨ مانصه :-

وضع حضرة العلامة خادم العلم والدين هبة الدين الحسيني كتابا في نهضة الحسين رضي الله عنه . وقد جاء هذا الكتاب بسلسلة حوادث تاريخية حول فاجعة الامام الحسين بن علي عليهما السلام مأخوذة من اوثق المصادر وبطرز بديع جديد فيه تحليل وتعليل للوقائع التاريخية ولا عجب فقد وضعه عالم كبير له الوقوف التام على تاريخ العرب عموما والاسلام خصوصاً فجاء الكتاب نتيجة لعلم غزير وبحث دقيق واطلاع واسع وخبرة تامة مما يتعشق اليه غواة العلم والتاريخ . فندعوا القراء لمطالعته والاستفادة منه والكتاب يقع في ١١٦ صفحة ومطبوع على ورق صقيل ويباع في كل مكاتب العراق

-١٩-

للفاضل الكامل السيد خضر القزويني النجفي : —

[هبة الدين] همام نهضت	شرعة المختار في [نهضته]
فيلسوف فاق اعلام الورى	فهي لم تلحقه في خطته
أن بدت في عصره فلسفة	غير بدع فهي من سنته
نصر الدين وما من ناصر	مثله للدين في نصرته
فلكم سل يراعا دونه	خشيته البيض من هيبته
ان جرى في الطرس كالبحر غدا	ينثر الدر على صفحته
ولكم جرد عنه مقولا	ذاد فيه عن حمى حوزته
اروع يدفع من قدامه	كدفاع الليث عن اجمته
شكر الله مساعيه فقد	دحض الباطل في همته
ولقد سر رسول الله في	نهضة السبط سليل ابنته

-٢٠-

لجريدة نداء الشعب البغدادية المحتجبة قالت في عددها ٤٢٥ مانصه:ـ

مختصر نهضة الحسين

اهدى الينا معالي العلامة السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني مؤلفاً حديثاً باسم [مختصر نهضة الحسين] تتضمن سلسلة حوادث تأريخية حول فاجعة الحسين [ع] بطرز جديد . والكتاب مطبوع طبعاً متقناً في ١١٦ صفحة فنقدر جهود الاستاذ المؤلف في هذا الباب ونحث المولعين بالمطالعة على اقتنائه

-٢١-

للاديب الكامل الشيخ هادي القاري:ـ

هذا كتاب محمد هبة لدين محمد	من فاق اهل زمانه بالعلم ثم السؤدد
كم معجز ابدى لنا ببراهه المتوقد	نعم الدليل لناهض ارخت (نهضة سيدي)

١٣٤٤

حول كتاب نهضة الحسين

- ٢٢ -

لجريدة النهضة الغراء وهي من شهيرات صحفنا الحرة قالت في عددها ٩٥ لسنتها الاولى مانصه : —

(مختصر نهضة الحسين)

كم كنا نتمنى ان يهيىء الله لهذه البلاد عالماً مصلحاً يوفق بين القديم والحديث و يطبق العلوم على اسس الدين ويمشي بالدين مع حاجات العصر ومقتضيات الامة ، وكم دعونا الله بان يبعث لهذه البلاد من يأخذ بيدها من جمود التقليد ، وانحطاط المدارك فيسموا بها الى حيث العلم النافع والمبادي الدينية الصحيحة وكم سألنا الله ان يرسل الينا من يسبر غور حوادث التاريخ الاسلامي الكبرى فيمحصها ثم يخرجها للناس حقائق ملموسة لاشبهه فيها ولا غبار عليها ، وها قد حقق الله تلك الامنية ، وقد استجاب ذلك الدعاء وقد اعطانا ماسألناه ، وهو بسماحة العلامة السيد هبة الدين الحسيني وزير المعارف الاسبق ورئيس مجلس التمييز الشرعي الحالي ومؤلف كتاب (مختصر نهضة الحسين) «ع» وغيره

واذا قلنا (مختصر نهضة الحسين) فانما هو سلسلة حوادث تاريخية حول فاجعة الامام الحسين بن علي «ع» وقد اخذ الاستاذ العلامة هذه الحوادث (من اوثق المصادر) وجاء بها الى القراء في (طور احلاقي جديد) لم يعرف القراء من غير الاستاذ فهو (يحلل ويعلل الوقائع على اسلوب فلسفي فريد في بابه) وعدا ان هذا المختصر في (سبك وجيز) جيد الورق ، متقن الطبع ،

-٢٣-

للواعظ الشهير والمحقق الكبير مولانا السيد حسن الاسترابادي الحائري

دام ظله

يا منادي الهدى عليك حقيق … ان تنادي الورى وانت وثيق

ان «هبة الدين» للاعادي شرار … اجتهاداته عليهم حريق

كلما رتب الغزاة جيوشاً … فعلى رأسه اللواء خفيق

واذا اظهر الاكابر شأنا … فله العز والفخار يليق

فلرمح البنان منه بيان … ولسيف اللسان منه بريق

زورق العلم في بحار هداه … فبه يطلب النجاة غريق

في التصانيف والتآليف فرد … لفظه جوهر ودر انيق

فله «نهضة الحسين» كتاب … جامع للعلوم وهو دقيق

وعباراته ينابيع علم … ولسر النكات بحر عميق

حبذا من بلاغة فيه تبلى … وزلال الالفاظ فيه رقيق

حاز فخراً بذا الكتاب فارخ … (هيبة الدين للنجاة طريق)

١ ٣ ٤ ٥

- ٢٤ -

لصفوة الادباء الافاضل السيد محمد صادق آل شرف الدين الكاظمي

﴿ كتاب نهضة الحسين ﴾

ليس اليوم في الشرق والغرب من يجهل مقام الحسين عليه السلام ومواقفه المشهودة ، ولا من ينكر ماله من ايادي بيضاء قدا سداها على الامة الاسلامية وعلى الدين الاسلامي الحنيف

ان الحسين عليه السلام لما رأى اضمحلال الدين، وظهور الفتن والبدع

من ايدي اناس يستعملون انواع الحيل في البرهة تلو الاخرى لهدم اركان الدين المقدس وخراب اسسه القويمة ، ساءه ان يقف ازاء هذه المشاهد المحزنة موقف المتفرج ، وعلم انه ان لم يتدارك دين جده من ايدي المستبدين به ، والظاهرين بمظهر النائبين عن الصادع به لالتبس الامر على بسطاء الامة ولاختلط عليهم الحابل بالنابل فتتدهور حينئذ الامة الاسلامية ويصبح الاسلام اثراً من الآثار وخبراً من الاخبار يؤرخه لنا المؤرخون كما يؤرخون الامم السالفة التي هي اليوم لا عين لها ولا أثر

لذلك نرى الحسين عليه السلام قد نهض تلك النهضة المباركة التي قد سطرها له التاريخ بقلم من نور لكي يكشف النقاب عن نوايا القوم ، وعن مكنونات اسرارهم المحجوبة بالتمويه ، فنهض وهو مقدم نفسه العزيزة ونفيس اهليه وولده وصحبه ضحايا في سبيل الدين واحياء شريعة جده سيد المرسلين ، شأن الرجال العظام الذين يقدمون كل ما لديهم من رخيص وغال في سبيل المصلحة العامة .

فحري اذاً بالكتاب وذوي الاقلام ان تكون نهضة هذا الشخص العظيم هي الشغل الشاغل لهم ، وعلماء الاسلام وان بذلوا غاية جهدهم والفوا المؤلفات المفصلة والمجملة في وقعة الطف ، تلك الوقعة التي لم يرشدنا التاريخ حتى الآن الى مثيلها لكن لا يوجد من بين ما الفوا كتاب يلائم روح العصر الحاضر ولطالما كنت اود وجود كتاب في هذا الموضوع يبين اسرار تلك النهضة ويحللها تحليلا تاريخياً دا-فيا حتى حظيت ذات يوم بما طلبت وذلك ببروز (كتاب نهضة الحسين) الى عالم الطبع ، ذلك الكتاب الذي دبجه يراع المصلح الشهير والكاتب الكبير سماحة الاستاذ العلامة السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني اطال الله بقائه الشريف. ولقد دعاني — حب الاستطلاع والاستفادة واهمية الموضوع وشهرة المؤلف الطائر الصيت — ان

اطالع كتابه النفيس بكل شوق وكل همة ونشاط، طالعته فالفيته جم الفوائد ~~فصيح الفظ بليغ المعنى حسن~~ الاسلوب، ذلك الاسلوب الجذاب الذي يأخذ بمجامع قلب القارئ ، وهنا صفة للمؤلف قد كنت احس بها تنجلي في خلال عبارات كتابه الشائقة الا وهي تأثير كتابته على الشعور. وهي لعمري ميزة حسنة قلما اتصف بها اغلب الكتاب ، وبهذه الصفة يمكن ان نعرف منزلة الكتاب والتفضيل بين اي فرد منهم على الآخر.

وحقا اقول انه لو لم يكن للمؤلف اثر غير هذا الاثر الجليل لكفى دليلا على حسن اسلوبه الانشائي وغزارة ينبوعه ومادته. كيف وله من المصنفات الفريدة والمؤلفات العديدة في مختلف الفنون ما سوف تكون اثرا خالدا للناطقين بالضاد

فحري بخطباء المنابر وطلاب العلم ورواد الاصلاح ان يقتنوا هذا الكتاب الفريد ، وجدير بالنشئ المعرفي الكريم ابناء اليوم ورجال الغد ان يعملوا بما في هذا الكتاب من اقوال الحسين «ع» وفعاله التي تلقنهم دروس التضحية وتعرفهم كيف تستهان النفوس العزيزة في سبيل الغايات الشريفة كي يعيدوا حضارتهم الغابرة ويستردوا مجدهم السالف ؟

— ٢٥ —

لجريدة النجف المحتجبة. قالت في الملحق الخامس للعدد ٧٩ في سنتها الثانية بتاريخ ٤ محرم سنة ١٣٤٦ ما نصه : —

للسيد معالي هبة الدين الحسيني يد طولى في عالم التأليف والتصنيف فقد وقف هذا العلامة حياته الثمينة على خدمة المسلمين والاخذ بناصر الدين الحنيف فهو بين كل آونة واخرى يتحف العالم الاسلامي بنفثة من نفثات قلمه السيال. وآخر كتاب دبجته يراعته: «كتاب مختصر نهضة الحسين بن علي عليهما السلام» وهو عبارة عن سلسلة حوادث مهمة مستقاة من اوثق المصادر التاريخية؛ يوضح للقارئ كنه الحسين وحقيقة ذاته المقدسة وماجرى له مع قاتليه بني امية على مدى اطماعهم وهتكهم لحرمة الاسلام.

حول كتاب (نهضة الحسين)

— ٢٦ —

لنابغة العراق وشيخ ادبائها على الاطلاق الشيخ محمد جواد الشبيبي ، قال دام علاه : —

ان نهضتكم الشريفة - نهضة الحسين - مما تقيم مراسم التذكار ، فيبتاع الموالى بسوقها الرائجـــة منزل الكرامـــة وثمن تلك العين المخلدة ما تنثره العين من لؤلؤ الدمع ومرجانه فيا لها من او راق تنوح بحديثها وهو ذو الشجون ورقاء الحزن فتذكرنا الواقعة التى برح بالاسلام قديمها وهون عظائم ر زايا الحقب عظيمها ، ندامت باقية الاثار كتبك القيمة مؤثرة فى النفوس حكمك البالغة

— ٢٧ —

للفاضل الاديب الشيخ موسى بن الفقيه الاكبر الشيخ جعفر الحائرى قدس سره : —

مرشد الحق الى الرشد دعا ... فاهتدى من لنداه استمعا

قائلا سيروا بمنهاج الهدى ... واطابوا سبل المعالى اجمعا

كم له نهضة عز دونهـــا ... انجم الخضراء تعنوا خصعا

(نهضة) تقعد من اقرانه ... كل من للعز يمشى مسرعا

احيت السنة ما بين الورى ... واماتت فى هداها البدعا

(هبة الدين) بدت اسراره ... شهباً فى الجو تزهو طلعا

شب فى حجر المعالى يافعا ... ولكم منها لباناً رضعا

لم يزل يبذل اقصى جهده ... للهدى حقا ويبدى الورعا

— ٢٨ —

لجريدة الاستقلال البغدادية الخادمة لمبدأ استقلالنا السياسى والادبى قالت فى عددها ١٤٤٣ ه ما نصه : —

لا بد من الاعتراف بان معالى الشهرستانى قد سد فراغاً كبيراً فى عالم التأليف بكتابه (نهضة الحسين) لانهذا الكتاب مع صغرحجمه قد حوى الاسس الصحيحة لقضية الطف و وفر على الخطباء عناء البحث ومراء التمييز بين صحيح الروايات من سقيمها

ويسرنا القول بانجماعة من الخطباء والادباء فى الكاظمية قد احتذوا حذوه وقرروا متابعة هذا المنهاج الاصلاحى وفى مقدمتهم الاستاذ الشيخ كاظم نوح والسيد محمد آل شديد والسيد سعيد وغيرهم واملنا وطيد فى ان يقتدى بهم امثالهم من خطباء الجهات الاخرى .

— ٢٩ —

للاديب المهذب الشيخ احمد الحائرى : —

ايا من تجلت منه ادنى بلاغة	تخرت لهاالاقلام فى الطرس سجدا
تنقلت فى اوج المعالى منازلا	فابديت آثار الفضائل والهدى
لقدجئت هذا العصر للناس رحمة	وما اخترت الاذروة المجد مرصدا
واحييت من ارض العراق علومه	بهمتك العلياء مذ صرت مقتدى
عهدت بنى الدنيا كثيراً عدادها	وانت بذاك العدا اصبحت مفردا
فديتك كم من (نهضة) لك بالهدى	تدانى بافق المجد نسراً وفرقدا
هدى الله فيك الناس ياخير مرشد	الى الرشد او باب المكارم ارشدا
ولا زال شمل المجد فيك مجمعا	ولا زال ركن الدين فيك مشيداً

— ٣٠ —

لمجلة الهدى الاسلامية الحاملة لراية الدين فى العمارة قالت فى الجزء الرابع مج ١ مانصه : —

نهضة الحسين كتاب جمع بين دفتيه ما لو وزن بالاكسير لرجح عليه وايم الله انى ما نظرت اليه الا ووجدته يأخذ بمجامع قلبى فلا يدعنى انظر الى ما سواه فكأنه بما اودع فيه من رقة الكلام وجزالة المعنى وفخامة الموضوع واستواء القصد سحر يميل بالقلب الى حيث يشاء

فهرست عناوين (نهضة الحسين (ع))